روايات عبير

المفتاح الضائع

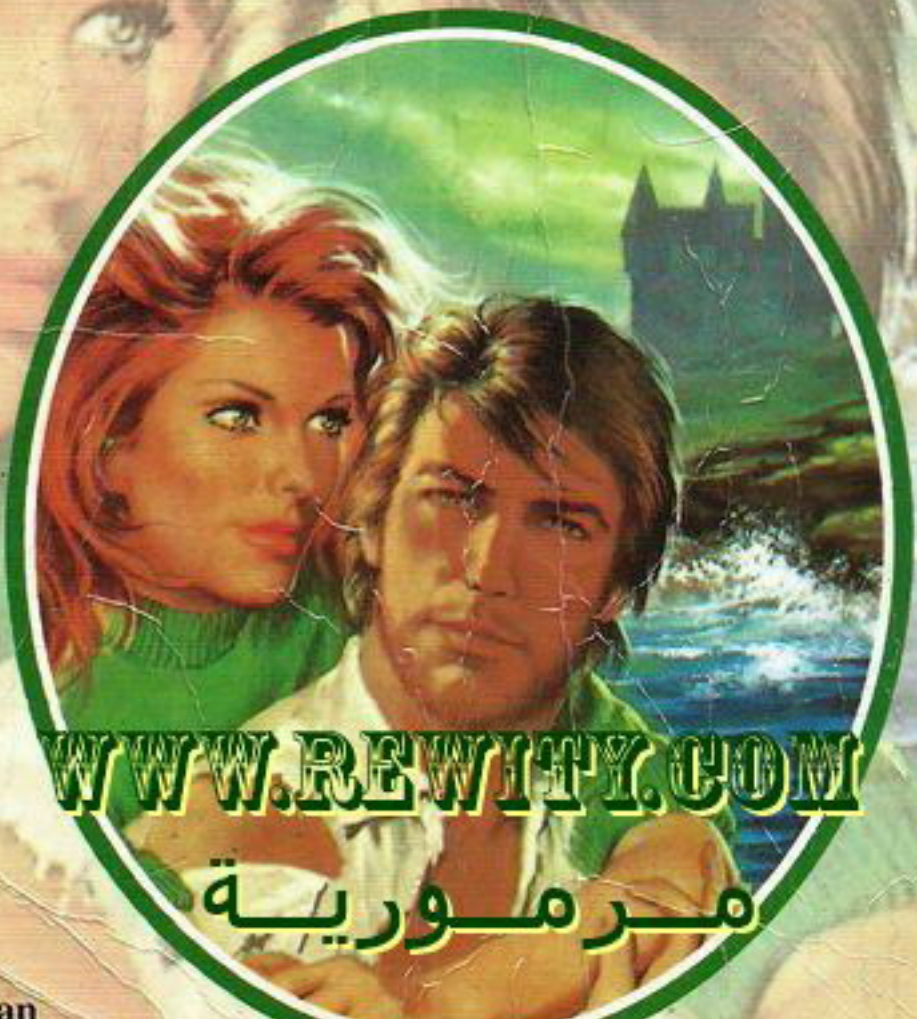

WWW.REWITY.COM

مرمورية

Jan Campbell

N° 539

روايات عبير

اصطفت

السيارة " البورش " في ساحة الإنتظار أمام

السوبر ماركت ، وكان قسم العدد والآلات بالسوق يعرض مجموعة

رائعة من المناشير المعدنية سأل " جوليان " " ديبورا " :

- أي نوع تشترينه ؟

قال صوت رجل جاف في ظهره :

- ولا منشار واحد .

كان الرجل الذي تكلم عملاقاً ملتحياً يرتدي بذلة عمل ملوثة ببقع الشحم .

سأله " جوليان " :

- ماذا تقول ؟

- أنا ميكانيكي، وأنت تريد التخلص من أصفادك ؟

قالت " ديبورا " وعلى وجهها إبتسامة عريضة :

- بالضبط .. ماذا في رأيك يجب أن تشتريه ؟

ثمن النسخة

لبنان	٢٥٠٠ ل.	قطر	٧٠ ريال
سوريا	٧٥ ل.	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	مصر	٤ جنيه
السعودية	٨ ريال	المغرب	٢٠ درهم
الكويت	٧٥٠ فلس	ليبيا	١ دينار
الإمارات	٨ دراهم	تونس	٢,٥ دينار
البحرين	٧٥٠ فلس	اليمن	٢٥٠ ريال

ISBN 9953-414-31-9

9789953414317

الغلاف الأمامي

"جوليان" رجل أعمال ناجح، وغير متزوج. يقوم بزيارة لشقيقته، ويتولى رعاية أبنائها الأربعة الصغار؛ لعدم وجود والدهم الذي يقوم برحلة عمل ولاضطراره إلى القيام ببعض المهام العاجلة.

والأطفال الأربعة عبارة عن شياطين صغار.

يلاقي الخال الأمرين في السيطرة عليهم.

تحضر إلى البيت مندوبة مبيعات لمكانس كهربائية شفاطة، وهي في الحقيقة تعمل ممثلة في ملهى ليلي وهي "ديبورا": وهي شابة مرحة، وجريئة، وغريبة التصرفات.

يلهو اكبر الأبناء بان يضع اصفادا حقيقية- اهداها له خال والدتهما- في يدي "جوليان" و"ديبورا" ويغلقها، ويكتشف الجميع أن مفتاح الأصفاد مفقود ويعرفون بعد ذلك أن الرضيع- وهو أصغر الأبناء- قد ابتلعه- تجري أحداث مثيرة ومضحكة ومحرجة تتخللها مغامرة يدبرها الخال الأكبر "شارلي" الذي كان يعمل ثلاثين سنة مفتش تحريات بالشرطة..

شخصيات الرواية

- "جوليان هالوران": شاب في السادسة والثلاثين، ورجل أعمال ناجح، وغير متزوج.
- "ديبورا تيرنر": ممثلة في ملهى يقدم العروض المثيرة، وهي شابة مرحة، ومثيرة للضحك.
- "إيرين كالدر": شقيقة "جوليان".
- "اندريا"- "جوني"- "تيم"- "ميكي": ابناء "إيرين".
- "شارلي ماكروجر": خال "جوليان" و"إيرين"، ضابط شرطة متقاعد، وغريب الأطوار.
- "كلويه ديفيز": فتاة ارستقراطية شقراء مرشحة للزواج من "جوليان".

www.rewity.com

الفصل الأول

- يا خالي "جوليان"؟

وضع الرجل كتابه على المائدة المنخفضة والمصنوعة من الخشب المصقول.

أحاطت بوجهه يدان صغيرتان ثم استانفت الطفلة الصغيرة الشقراء، وهي تتامله شاردة بعينيها الواسعتين السوداوين:

- قل لي.. ألا تعتقد أن الحياة أكثر صعوبة عندما يكون للمرء ثلاثة من الإخوة الذكور؟

وضعها على ركبتيه، واحتضنها بقوة:

- بصراحة لا يا "أندي"! إن "باليرينا" تظل أجمل بين ثلاثة سفاحين.

هزت ضحكة مرحة الفتاة الصغيرة، ومسحت خدها الحريري بخد خالها. استنشق الخال رائحة شعرها العطرة، وفجاة خنقت عاطفة غريبة قلبه.

تلك العاطفة كان يحس بها من فترة في كل مرة يجد نفسه في منزل أخته.

كانت إقامته في شقة تشبه حجرة بفندق أربعة نجوم بمفرده تعتبر كئيبة إذا ما قورنت بالسوق المرح الذي يسيطر على الصالون الموجود فيه هذه اللحظة.

إن مكانه في الفندق ليس سوى مكان للنوم فيه. نعم. إن الفرق كله في هذه الفوضى الدافئة، وثرثرة، ومشاغبات الصبية الثلاثة مع بعضهم بعضا وهم يلعبون في الفناء. إن أبناء "إيرين" المزعجين يظلون يذكرونه باستمرار بالصمت المثلج لشقته. منذ متى وهذا السكون يثقل عليه بالضبط؟ شهر أو أسبوع مضى، وهو لا يحس بالرضا على الإطلاق من نمط حياته! كانت "إيرين" و"شارلي" يتهكمان عليه، ويؤكدان أن "جوليان" قد تزوج من شركة.

قال صوت صغير:

- يا خالي "جوليان"؟

كان "تيم" ينظر إليه بانتباه، وقال بلهجة عنيدة:

- إن "ميكي" ياكل الآن القاذورات من أصيص الزهور الخاص بأمي.

- البائس!

وضع "أندي" على قدميها، وقفز نحو الفناء يتبعه "تيم و"جوني"، والأخير أكبر الصبية والذي انضم إلى الفريق وهو لايزال يلعب بكرة الراجبي المستطيلة.

قال "تيم" وهو يحرك عينيه في حركة تعبيرية:

- لقد حذرته من انك ستغضب ولكنك تعرف "ميكي".

كان المدعو "ميكي" طفلا حبوبا في الشهر الثامن عشر من عمره، وقد زحف على بطنه فوق التراب بالقرب من إناء كبير للبذور. أخذ الطفل يحرك بيده السمينة الطين الأسود قبل أن يتذوقه في رزانة وجدية.

- أيها اللعين الصغير.

قام الخال بنزع الرضيع، وتنظيفه رغما عنه من وسط متعته الغريبة ثم حمله إلى مهده.

وقف "جوليان" وقد بدا عليه أقسى تعبير وهو يتامل الوجوه الأربعة

المذعورة وهي تتطلع إليه ثم قال:

- انتم! اسمعوني جميعا! ستظلون عاقلين لحين عودة أمكم.. مفهوم؟ وبالأخص لا تتحركوا.

حدجهم بنظرة متوحشة؛ مما ضاعف من فزعهم واستانف:

- أما بالنسبة لك يا "جوني" - فانت الأكبر يا بني - اعتن بالرضيع، ولا تدعه يغيب عن عينيك.

جلس مرة ثانية في المقعد الوثير ذي المساند، والمصنوع من جلد النمر، واستانف "جوليان" قراءته، وبعد فترة أدرك أنه يعيد قراءة نفس الصفحة للمرة الثالثة؛ فترك الكتاب بصورة نهائية رغم أنه رواية جاسوسية تشد الانتباه.

إن مستقبله يشغل باله. إن "إيرين"، وخالهما ربما لم يكونا على خطأ. ألم يكونا على وشك المرور على الحقيقة؟ ألم يفضل عمله على الحياة العادية؟ إن "جوليان" لم يعثر أبدا على الوقت الكافي واللازم للتعمق في هويات الناس. من المؤكد أن النساء أبهجن حياته ولكن لا توجد واحدة بصفة خاصة جذبت انتباهه.

ثبت نظراته على السقف وقد تضايق من مسار أفكاره ثم سقطت عيناه على النافذة ذات الضوء المبهر الذي يغشى البصر. لماذا بحق السماء يناقش قضيته اليوم بالذات؟ ثم إنه على أية حال ليس عجوزا.. لقد عاوده تفاؤله.. إنه في السادسة والثلاثين ولاتزال أمامه الفرصة لان ينشئ أسرة ودارا وليكن ذلك فيما بعد.

قال زاجرا بصوت عال:

- "تيم"! كف عن شد شعر "أندي"!

حك ذقنه بطريقة آلية. في كل مرة تخطر بباله فكرة الزواج تطير أفكاره - طبعا - نحو "كلويه" كانت ممشوقة القوام، وفاتنة، وأنيقة، ولديها كل ما يجعلها تصلح زوجة صالحة، وأما مثالية.

قال في نفسه وهو يبتسم:

- إن "إيرين" هي التي ستسعد.

لقد كانت أخته تحلم بان تراه متزوجا، وإذا تزوج من "كلويه" فإنه سيقطع الطريق أمام "إيرين" بان تكف عن اتهامه بجنون العمل، وعندما أعاد التفكير في عمله وجد صورة وجه وردي مستدير تزينه عينان زرقاوان لامعتان.

أفلتت منه زفرة، ووصف نفسه بانه رجل طيب عجوز. إن الخال "شارلي" تجاوز الحدود! ويجب على "جوليان" أن يعالج الأمر معه باسرع ما يمكن قبل أن تنكشف خبطته الأخيرة. ففي هذا المساء بعد حديثه في عشاء العمل بالغرفة التجارية سيجري محادثة قصيرة مع خاله، وسيعنى ألا يحدث بعد ذلك منه هذا النوع من المزاح مرة ثانية.

كف ضجيج الأولاد لحظات أمام رنين جرس الباب الحاد ثم عاد الضجيج مضاعفا.

ذهب "جوليان" ليفتح الباب، صاح من وراء كتفه:

- كف عن ضرب تلك الكرة اللعينة على الأرض يا "جوني".

ثم تابع حديثه موجها الكلام إلى المخلوقة الشابة الواقفة على عتبة الباب:

- ارجو المعذرة...

ماتت الكلمات على شفتيه قبل أن ينطقها لم يعد يهمه أي شيء آخر. إن الشابة التي تواجهه تتكلم كلاما ما وتبتسم، وهو لا يعرف ماذا تقول، ومن يره يظن انه فقد حاسة السمع والنطق. وقد أغرقته مشاعر غريبة جدا، واحس - في وقت واحد - بانه سعيد وضائع.

كانت القادمة الجديدة ضئيلة الحجم ولكنها ممتازة التكوين، وكان زيها مذهلا وقد ربطت وشاحا من الحرير الأزرق المخضر حول جبينها. لم يستطع أن يخفي شلالات شعرها الأسود الفاحم المنسدل في جنون على كتفيها. بينما ارتدت بنطلونا أخضر زرعيا ضيقا أبرز تقاسيم جسدها، وكان فمها يشبه فم العروسة، وبشفتين محددتين ومقوستين في روعة، ووجهها الصغير الفاتن تحتله عينان واسعتان رماديتان.

قال "جوليان" في نفسه معترفا: "إنهما عينان تجعلانك تحب الحياة".

اختفت الابتسامة التجارية من على وجه "ديبورا" عندما استمر الرجل في التحديق فيها.. لقد تتابعت على وجهه القاسي الخطوط مظاهر الدهشة والاستمتاع والإعجاب على التوالي.

سالته في مرح:

- ما الذي لا يعجبك؟ إن من يراك يعتقد أنك رأيت زائرا من "المريخ".

عندما رنت الشابة جرس الباب توقعت أن تقابل النموذج للأب الأسري المكبل بالأعباء والهموم ما لم تقابل رب أسرة في حالة بائسة: لقد انفتح الباب على عملاق أسمر ذي عينين مخمليتين، وكان مرتديا حلة السهرة.

تنحنحت "ديبورا": لتسلك حلقها ثم هاجمت بشجاعة باول جملة في مجادلتها التي استعدت لها:

- يا له من عالم غريب.. لم يعد هناك أي شخص يؤمن بالمشروع الحر.

أشارت بحركة متعبة إلى الماكينة التي وضعتها بجوار ممسحة الأرجل الموضوعة أمام عتبة الباب.

زفرت وهي تمسك بالآلة وتدخل الردهة:

- إن عدد الناس الذين أغلقوا الباب في وجهي يؤكد لي أن عدم الثقة يسود وينتصر.

سالها وهو مبهوت وغير مصدق:

- هل تبيعين مكانس كهربائية؟

أضيئت عينا الشابة بلون العنبر:

- مكانس كهربائية؟ هل هذا ما تسميه لهذه الماكينة الثورية؟ هناك ثلاثة أحداث تعد علامات مميزة في تاريخ الإنسانية يا سيدي: اكتشاف "امريكا"، والثورة الفرنسية، وهذا الاختراع.

إنه أعجوبة يا سيدي! إنها ماكينة تبتلع دون تمييز الفضلات، والتراب، والخراف. باختصار: كل ما لا تستطيع أن تفعله الماكينات الحالية العادية، وهي تبدأ من شامبو غسيل الموكيت إلى تجفيف الشعر مرورا بخلاط الفواكه والخضراوات، وهذا ما أنا واثقة به.

رد عليها "جوليان" مازحا:

- ولكنها لا تعمل تليفونا للأسف، وساجد صعوبة شديدة في الاتصال بك أثناء عملك وهو الانتقال من باب إلى باب. إنك لم تخلقي لهذه المهنة.

أجابته وقد ظهر الامتعاض على وجهها:

- أنت تتحدث مثل رئيسي في العمل. كانت مخاوفه تمنعه من توظيفي ولكن...

- ولكنك أثبت له قيمتك!

- طبعا! فمنذ ثلاثة أيام وأنا في الوظيفة لم أفلح في بيع ماكينة واحدة. لابد أنني أتناول الأمر بطريقة سيئة. خذ مثلا جارتك السيدة "اولسن" فهي حالة مثالية تطبيقية. فهي قد استقبلتني بلطف، وجلست خاشعة أمامي وأنا أقوم بالتجربة، وقدمت لي الشاي والبتي فور الجاف وعذبتني بسماع البوم المغني "دورانت": لتعلنني في النهاية أن أخاها تاجر جملة ، ويوفر لها كل الأجهزة المنزلية الكهربائية!

ابتسمت عينا "جوليان" السوداوان.. من المؤكد أن هذا الرجل يمتلك هذا النوع من السحر الذي يجعلها تنسى الهدف من الزيارة.

بدأت "ديبورا" تفك وتفرد سلك المكنسة الشفاط الكهربائية ثم سالته:

- أين مقبس الكهرباء؟ علينا أن نهجم على الموضوع بطريقة عملية. أنا...

ظلت عبارتها معلقة ثم قالت:

- دون تدخل في شؤونك العائلية فإنني أعتقد أن السمكة الحمراء تعاني من متاعب.

استدار "جوليان" بعنف وصاح:

- اللعنة عليك يا "ميكي"!

اندفع "جوليان" ومعه "ديبورا" إلى الصالون. لم تجد الشابة- كما توقعت- دستة أطفال فيه وإنما أربعة فقط.

كانت البنية الصغيرة تطلق صرخات مدوية بينما أخذ الرجل يحرر

بسرعة السمكة الحمراء من يد الرضيع السمينة، ويعيدها إلى الإناء الزجاجي بينما انفجر الطفلان الآخران في الضحك.

صوب صاحب البيت- أو المفروض انه صاحب البيت- نظرات نارية لأكبر الصبيين وصاح:

- "جوني"! ومع ذلك سبق أن نبهت عليك ألا تترك "ميكي" يغيب عن عينيك!

رد عليه الصبي دون أن يبدو عليه أي انزعاج:

- وهذا بالضبط ما فعلته. لقد أراد أن يلتهم السمكة.. إنه مقرف.

خرج الرجل وهو يسب ويلعن ويحمل معه "ميكي" المبتل. انتهى الأمر بـ"ديبورا" أن أعادت لف سلك المكنسة الشفاط.

سألتها الصبية الصغيرة:

- ماذا تفعلين؟

- إنني أستعد لأن أريك كيف تستخدمينها. هل... ما هو اسمك؟

- "اندريا".

- هل يهمك أن تشاهدي يا "اندريا"؟

- لست أدري.

- أنت صغيرة جدا.

- لقد بلغت الخامسة من عمري.

- نعم ولكني واثقة بأن والدك سيسعد.

صاحت "اندريا" وهي تضحك:

- إنه ليس أبي!

ثم صاحت نحو شقيقيها:

- "تيم".. "جوني" إن السيدة تظن الخال "جوليان" والدنا.

ثبتت البنت الصغيرة عينيها على "ديبورا" وقالت:

- أبي في رحلة، وأمي تقوم بالشراء من السوق وستشتري لي مفاجأة ولكن لن تفعل ذلك مع "تيم" ولا "جوني"؛ لأنهما كسرا زجاج المطبخ بالكرة. لقد قال "جوني" إنه حطم الرقم القياسي العالمي ولكن

أمي لم ترغب أن تستمع إليه، وقد ثار السيد "طومسون" غضبا. لحسن الحظ شركة التأمين الخاصة به ستدفع التعويض عن الزجاج المحطم.

سكتت "اندي" لتلتقط أنفاسها أمام نظرات الإعجاب من "ديبورا". ثم قالت دون مواربة:

- إن الخال "جوليان" يعشق أن يحتفظ بنا.

- في الحقيقة يبدو أنه يستمتع بجنون.

سألها "تيم" بصوته الرفيع الحاد:

- ما اسمك؟

- أنا "ديبورا تيرنر رايلي". أنا مندوبة مبيعات.

صاح "جوليان" وهو يعود للصالون ومعه "ميكي":

- "ديبورا"! هذا اسم رومانسي. ومع ذلك ينطبق عليك انطباق القفاز على أصابع اليد. أنا "جوليان هالوران"؛ وكما أرى أفهم أنك تعرفت على الفريق ما عدا الصغير "ميكي".. هل هو غير منظم هكذا دائما؟

ابتسم عارضا أسنانا ناصعة البياض وقال:

- دائما! إن "إيرين" تدعي أنه سيتحسن ولكني أخشى أنه سيظل هكذا... أوه.. رهيبا طوال حياته. قاطعته "اندي" وهي تقوم بقفزة بهلوانية:

- انظري يا "ديبورا" إليّ! عندما أكبر سأصبح راقصة.

- حسنا! أنت فعلا لك مظهر الأميرة. عندما كنت في سنك بدأت دروسا في الرقص ولكني اضطررت لهجرها؛ لأن جسدي لم يساعدني كثيرا.. لقد كنت بدينة جدا.

صاح "جوليان":

- بدينة! هذا مستحيل.

- ولكني أقول لك ذلك. لقد كانوا يسمونني في المدرسة "ديبورا" البدينة.

ضحك ضحكة موسيقية، وكان واقفا قريبا من الفتاة ولكن قربه أشاع نوعا من الدفء. نظرت إليه دون أن يطرف لها رمش وقالت:

WWW.REWITY.COM
مرموريت

- ولذلك حاولت أن أفرض عليهم استخدام اسمي الثاني وهو "إليانور".

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- لقد نجحت في أن ينادوني "إليانور" البدينة!

- "ديبورا إليانور تيرنر رايلي" ياله من برنامج طويل!

- إنه اسم من الصعب حمله. أليس كذلك؟ أخيرا فضلت اسم "ديبورا تيرنر". إنه اسمي المسرحي.

- اسمك المسرحي. هل تعملين ممثلة؟

جذب "جوني" الشابة من كم بلوزتها:

- هاي! هل شاهدت أصفادي؟

انهمكت في مراقبة سوارين لامعتين من الكروم مربوطتين بسلسلة ثم أصدرت صفيرا:

- إنهما تبدوان حقيقيتين أكثر من الأصل.

احتج "جوني":

- ولكنهما حقيقيتان! لقد أعطاهما لي الجد "شارلي". إن الجد "شارلي" هو خال أمي، وخالي "جوليان".

- آه فهمت. هل هو رجل شرطة؟

- لقد كان ولكنه أحيل إلى المعاش ولكن هذا لا يمنع من أنها أصفاد حقيقية. أليس كذلك يا خالي "جوليان"؟

زقزقت "اندي" بصوتها الرفيع:

- "ديبورا"! "ديبورا"! انظري!

كانت الصبية الصغيرة قد بدأت ترقص بطريقة نجمة رقص عالمية.

ابتسمت "ديبورا". لقد بدأ الطنين يرن في أذنيها وفي فؤديها. لم تعد تعرف أين هي. أخذت تلف سلك المكنسة الشفاط بطريقة آلية عندما أحست بيد ساخنة توضع على يدها، وقال "جوليان":

- ولكنك لم تقدمي عرضك بعد.

كانت عيناه المخمليتان تحدجانها بنظرات من الصعب معرفة معنى

تعبيرهما.

صاح "جوني" في انتصار:

- أرأيت أن الأصفاد حقيقية؟!

نظر كل من "جوليان" و"ديبورا" إلى رسغيهما وقد أحاطت بهما الأصفاد. قالت الشابة:

- هذا رائع يا "جوني". والآن يمكنك أن تطلق سراحي؛ كما تعلم لابد من أن أرحل.

سألها "جوليان":

- وهل تخليت عن عملية البيع؟

نظرت إليه متسائلة:

- هل تريد حقا شراء مكنسة شفاط؟

- ولم لا؟

أشاحت "ديبورا" بعينيها من أمام نار عينيه الملهوفتين. صاح "جوني" في ذعر:

- يا خالي "جوليان"!

- ابقي يا "ديبورا" حتى عودة أختي. إنها دون شك في حاجة إلى مكنسة شفاط.

- هي أيضا؟ إنه يوم مقدس!

كرر "جوني" مناداته لخاله بصوت قلق.

- ماذا هناك يا صغيرتي؟

ابتسم "جوني" ابتسامة مقتضبة وقال:

- أنا لا أعثر على المفتاح.

رد عليه "جوليان" وهو ساهم:

- ابحث عنه في دولابك. حسنا يا "ديبورا" هل ستبقين؟ إن "إيرين" لن تتأخر... عن أي مفتاح تتحدث يا جوني؟

أطلق "جوني" صوتا مكتوما، وبعد لحظات تفكير انفجرت "ديبورا" في الضحك وقالت:

www.rewity.com

- اللعنة! وانا التي لم اعرف كيف اخبرك...

- بماذا إذن؟

رفعت يدها الحبيسة في الأصفاد. قال "جوني":

- هل رأيت مفتاحي يا "تيم"؟

- ألم يعد موجودا على المائدة المنخفضة؟

- انا اعرف اين المفتاح..! انا اعرف اين المفتاح!

هز "جوني" سبابته مهددا في وجه "اندريا":

- لقد اخذته.. اعيديه لي ايتها الطاعون القذرة!

سقطت شفتا الصغيرة. واوشكت على البكاء وهي تحدج شقيقها في تحد:

- ساخبر امي.. لقد منعتك امي من ان تسميني الطاعون القذرة.

قال "جوني" بانفاس لاهثة:

- اعيدي لي مفتاحي!

- ليس معي مفتاحك اللعين هذا.

- اعيديه لي وإلا سميتك باللعينة!

ساد صمت مشحون بالتهديدات. قال لهما خالهما "جوليان" في هدوء وهو ياتي بحركة نحو "اندريا"، وهو يسحب معه "ديبورا" المربوطة معه بالاصفاد:

- ابذلي مجهودا يا "اندي".. هل تعرفين مكان المفاتيح؟

هزت الصبية راسها الأشقر بقوة، وركع "جوليان" بجوار ابنة اخته وقال:

- أين هو يا ملاكي؟

- لقد أخذه "ميكي".

قفز "جوليان" فزعا وقد استدارت عيناه ذهولا:

- "ميكي"! يا إلهي!

تحولت كل الأنظار في وقت واحد نحو الرضيع السمين الجالس في وقار في نهاية الغرفة وهو يحمل في فمه شيئا معدنيا لامعا.

الفصل الثاني

حل في الحال وطيس معركة محل السكون. اندفع "جوليان" إلى الأمام ساحبا "ديبورا" وراءه، ونتيجة لاندفاعها وطئت قدم "تيم" حيث أضاف صراخه مزيدا من الارتباك العام، وفي اثناء ذلك الوقت ظل "ميكي" جالسا على السجادة ذات النقوش المكررة باللونين الأزرق والأخضر.

قال "جوليان" بلهجة معسولة مشوبة ببعض القلق:

- "ميكي" يا عزيزي. افتح فمك.

نفذ الطفل اللعين الأمر في استسلام وهو يخرج لسانه الوردي الصغير وقد اسعده اهتمام الجميع به. أظهر الفحص السريع عدم وجود اثر للمفتاح.

مرر "جوليان" اصابع يده الحرة في شعره الغزير بعدها القى نظرة دائرية في الحجرة بحثا عن خطة عبقرية. سب صائحا:

- اللعنة.

قطع سبابه بينما دارت عيناه نحو الشابة التي دخلت لتوها إلى الصالون، لم يكن الأمر يحتاج إلى موهبة، وقدرة على الملاحظة: لتعرف

www.rewity.com مرموزية

"ديبورا" أن القادمة الجديدة هي "إيرين" شقيقة "جوليان": كانت نحيفة، وشقراء بلون القمح، وصورة طبق الأصل لـ"اندريا" وإن كانت بحجم أكبر.

سالت وهي تلقي نظرة فضول على "ديبورا":

- ما الذي يحدث؟ مساء الخير يا آنسة.. أنا "إيرين كالدر".

عندما لم يفكر أحد في الرد استمرت قائلة:

- لقد اضطررت لانتظار إعداد ستائري؛ ولهذا السبب تأخرت.

لوت فمها واستقبل الصمت كلامها فاستطردت:

- ألن تقدمنا لبعضنا بعضا يا "جوليان"؟ من الواضح أنك نسيت كل سلوكك المهذب.

- أرجوك يا "إيرين" ألا تصابي بالهلع؟!

- ولماذا أصاب بالهلع؟ من السهل أن تقدمني إلى ضيفتك دون أن أصاب بالخوف.

- إنه "ميكي" يا "إيرين".

نظرت إلى أصغر ابنائها:

- "ميكي"؟ ولكن ماذا فعل ايضا؟ أرجو لا يكون قد ابتلع السائل المنعم للغسيل مثل المرة السابقة. أليس كذلك؟

كان "جوني" هو الذي قام بمهمة الرد هذه المرة:

- لا يا أمي.. إنه لم يشرب منعم الغسيل وإنما..

اكمل "جوليان" عبارته:

- نحن نظن أنه ابتلع مفتاحا.

تشوه منظر وجه "إيرين" الفاتن، ومالت لتمسك بالرضيع بين ذراعيها، وأخذت تتأوه:

- يا إلهي! مفتاح؟ أرجو الا يجروا له عملية جراحية.. لا يمكن أن يفعلوا ذلك بي خاصة و"ستيف" غائب! إنهم لن...

تاهت بقية العبارة وسط الضجيج، واقترحت "ديبورا":

- من الأفضل أن تتصلي بالطبيب، وسيشرح لك ما يجب أن تفعليه

رفعت "إيرين" إليها عينيها المبللتين بالدموع:

- نعم.. طبعا..

نهضت وسارعت إلى الردهة وهي تحمل معها "ميكي"، ونظر "جوليان" إلى "ديبورا" نظرة عرفان قائلا:

- شكرا لك. لقد انقذت حياتي.

ابتسمت وقالت:

- هذا أمر طبيعي.. إنه جزء من حياتي أن انقذ الآخرين، لم يستطع أن يمنع نفسه من الضحك وتساءل:

- في كل الأحوال والظروف؟

- نعم. في أسهلها وأصعبها.. إنني أستطيع أن أصرع التنين الصيني، وأسلك أحواض المطبخ في أقل من لمح البصر.

انفجر مرة ثانية في الضحك وقال معقبا:

- سأتذكر ذلك في المرة القادمة عندما يسد التنين حوض مطبخي.

أخذت أنامل يده المتحررة ترسم خطوطا على راحة يد "ديبورا".

نظرت إليه وقد جف حلقها، وسرت صدمة كهربائية في ذراعها ومنها إلى سلسلة ظهرها؛ أحست فجأة بان الجو مغيم ولكنها لم تجد القدرة على تحويل نظراتها عن عينيه اللتين تشبهان بحيرة جذابة.

جاءت "إيرين" لتقطع عليهما أحلام اليقظة وسحر اللحظة. أعلنت في هدوء:

- إن الطبيب يريد إجراء أشعة على "ميكي"، وحسب رأيه هو لا يوجد خطر. إنه يريد التأكد من أن المفتاح لم يستقر في شق أو في الرئة.

كانت وهي تتكلم تلبس "ميكي" جوربه، وحذاءه بلون أزرق سماوي ثم قالت:

- إن الطبيب ينتظرنا في المستشفى. لماذا لا نأخذ المقطورة العائلية...

سكتت فجأة، ونظرت إليهما في ذهول:

- ما الذي حدث؟ لماذا تضعان الأصفاد في أيديكما؟

- أي مفتاح تخلين رضيعك قد ابتلعه؟

ارتجفت شفتا "إيرين"، وغشيت عينيها دموع الهلع والهيستيريا، وبعد لحظات انفجر الضحك العارم في الحجرة. ضحكات اشترك فيها الجميع.

سارت السيارة الـ"استيشن" العائلية بأقصى سرعتها على الطريق الرئيسي، وكانت "إيرين" هي التي تقودها.

كان "ميكي" مسرورا من الرحلة، وهو يبغبغ بجوارها وقد ربطته بقوة فوق المقعد.

احتل "جوليان" و"ديبورا" الأريكة الوسطى بينما الأطفال الثلاثة الآخرون قد اصطفوا على الأريكة الخلفية.

كانت واجهات المنازل الرمادية، والتي تعلوها الأسقف الإردوازية تمر خلال زجاج السيارة الأزرق، وتتخلل المنازل ستائر من الأشجار الخضراء.

فكرت "ديبورا" في الطريقة المفاجئة والسريعة التي اقتحمت بها حياة هذه الأسرة ما لم يكن العكس هو الصحيح، وأنهم هم الذين اقتحموا حياتها. من ساعتين لم تكن تعرف شيئا عن هؤلاء الناس والآن... ابتسمت وهي تتذكر الأصفاد وقالت في نفسها هناك ظروف معينة تخلق روابط متينة بين الناس.

أحست بحركة بجوارها انتزعتها من أحلام يقظتها، والذي كان يتململ في جلسته وهو يتحدث مع السائقة. فجأة أحس برغبة عارمة ألا تنتهي لحظة قربه من هذه المخلوقة.

جاء صوت "تيم" الذي يشبه صوت الضفدع:

- ما الذي تفعله؟ هل "ديبورا" تحس بالم في ذراعها؟

زمجر "جوليان" وهو يفكر في سؤال الصبي الوقح:

- كم مرة قلت لك أن تربط الحزام؟

مال "جوني" للأمام وقال:

- أنا أيضا أريد أن أشاهد!

أبعد "جوليان" يده في الحال عن ذراع "ديبورا" وإن كان قد حدج الصبي بنظرة سوداء. ثم قال:

- ألم يخبرك أحد يا "جوني" ماذا يحدث للأطفال الفضوليين؟ إن وجوههم تتجعد وأفواههم تتسع، وأذانهم تصبح ضخمة وبها شعر، ثم يتحولون إلى قردة.. إنهم مساكين!

عاد "جوني" إلى مكانه وقد أصبح لونه أرجوانيا، وعاد لينكمش على نفسه.

قالت له "ديبورا" في تهكم:

- يجب عليك كتابة قصص الأساطير.

انتظرا وهما جالسان- جنبا إلى جنب- نتائج الفحص بالأشعة، وبعد فترة بدت في عين "ديبورا" دهرا.

عادت "إيرين" إلى قاعة الانتظار يصحبها رجل يرتدي الزي الأبيض.

أعلن الطبيب وهو يبتسم:

- لا يوجد أي خطر. إن الجسم الغريب موجود في المعدة، وليس أمامنا سوى الانتظار حتى يلفظه الطفل بفعل الطبيعة بالطريقة الطبيعية.

ثم أشار إلى الأصفاد وقال:

- هل مفتاحها هو الضائع؟

أجاب "جوليان":

- نعم للأسف.

اتسعت ابتسامة الطبيب.

- حسنا.. اذهبا في رحلة إلى قسم الشرطة؛ لأنهم دون شك يحتفظون بنسخة أخرى من المفاتيح.

قال "جوليان" بصوت مرهق:

- كل ما نجحنا فيه هو أننا أضعنا وقتنا.

كان الأطفال نائمين، والبالغون الثلاثة مجتمعين مرة ثانية في صالون "إيرين" بعد إقامة قصيرة وبلا جدوى في قسم الشرطة.

قالت "ديبورا" بصوت ممطوط:

- لقد بدا هذا العريف ضائعا تماما وسط سلاسل المفاتيح.

ارتسمت ابتسامة حزينة على وجه "جوليان" وقال:

- لقد أسعدني أن أسمعك تقولين إنك سررت وتمتعت، وساكون مستعدا للضحك معك لو أن الشرطي المشار إليه استطاع العثور على نسخة هذا المفتاح اللعين.

- لابد أن الخال "نيس" ألقى به في الجب؛ ليتأكد من أنه الوحيد الذي يستطيع معرفة نظامه الميكانيكي.

هزت "إيرين" رأسها، وصاحت "ديبورا":

- ولكني أحببت هذه المغامرة. في الحقيقة نحن لم يقدم كل منا للآخر. أنا اسمي "ديبورا تيرنر" واعتقد بإخلاص أن عائلتك أكثر إثارة من أسطوانات المغني "دورانت" التي اضطررت للاستماع إليها في منزل السيدة "أولسون".

- هل تعرفين جارتي؟

- لقد حاولت أن أبيعها مكنسة شفاط بعد الظهر ولكن...

- ولكنها حصلت عليها من محل شقيقها للبيع بالجملة!

كان الثلاثة يتحدثون في وقت واحد. هزت "ديبورا" كتفيها ثم قالت:

- على الأقل أعطتني وصفتها لإعداد تورتة الكوسة.

- إنها منذ وفاة زوجها وهي تحاول أن تملأ وقتها.

قال "جوليان":

- لدي وظيفة لهذه السيدة.

نظرت إليه "إيرين" في دهشة وتساءلت:

- اه.. نعم؟ ما هي؟

- جليسة أطفال.

ألقى نظرة على عقارب الساعة؛ فتجمد في الحال:

- يا إلهي! مع كل هذه الأحداث لم يخرج حفل عشاء الغرفة التجارية من رأسي. لابد أن أكون هناك خلال خمس وعشرين دقيقة.

نهض كعادته مرة واحدة، واضطرت "ديبورا" أن تنهض قفزا هي الأخرى. سب وقد تذكر أنهما مربوطان. قالت "إيرين":

- وأنت المتحدث الأصلي. هل تحب أن أستدعي حدادا؟

- إنه سيصل بعد أسبوع. أليس لديك منشار معادن؟

- "ستيف" لا يحب الأعمال اليدوية. نحن نمتلك فقط من بين كل المعدات شاكوشا وبدون يد، وثلاثة مسامير، وعلبة مفكات قدمها أصدقاء بنقصهم الخيال في عيد ميلادي.

- فهمت.. إن هذا لن يسوي مشكلتي.

- أستطيع أن أطلب من الجيران أو...

- ليس أمامنا وقت.

دعك "جوليان" طرف أنفه وهو يقول:

- لا.. لا.. لابد من إيجاد الحل.

كانت "ديبورا" غارقة في أحلام اليقظة وقد ألقت برأسها على ظهر الأريكة المشجرة. كان حديث رفيقها يتسلل في أذنيها فيهدهدها. فجأة أحست بالسكون ففتحت عينيها، ورأت "جوليان" يتأملها بإمعان. قال:

- "إيرين".. هل تفكرين في نفس ما أفكر فيه؟

استدارت "ديبورا" نحو شقيقة "جوليان"، وكانت تفحصها هي الأخرى بانتباه شديد.

قالت الأخت:

- ماذا سنفعل بالنسبة للملابس؟

بدأت نظرات "ديبورا" الصافية تنتقل بين الأخ وأخته. ماذا يهدفان بهذه العبارات الغامضة؟ هل فاتتها بداية المحادثة؟

جرى ما جرى بعد ذلك بسرعة أفلام الحركة الصامتة. انتصب "جوليان" واقفا؛ مما أجبرها على النهوض، وتبعتهما "إيرين" ثم وجدت "ديبورا" نفسها مدفوعة إلى داخل حجرة لونها لبني. أخذت صاحبة البيت تفتش في دولاب ملابس ضخم ثم أخرجت منه ثوبا فاخرا صديريته من الحرير الموسيلين ذي الكسرات، وفي نفس الوقت وجدت

www.rewity.com

"ديبورا" نفسها ملقاة فوق السرير حيث هجم "جوليان" على حزامها.

- لحظة من فضلك.. أريد أن أعرف ماذا هناك؟

تجاهلاها وكأنها شخص خفي. قالت "إيرين":

- بذلة مثالية.. إنها يمكنها حتى الاحتفاظ ببلوزتها كسترة بشرط أن تفك أزرارها.

وافقها "جوليان":

- فكرة ممتازة.

أدركت أن رفيقيها سيلبسانها ملابس من أجل سهرة العشاء في نادي الغرفة التجارية. تكومت على نفسها فوق المرتبة وهي تفلت من الأيدي التي تحاول الإمساك بها وصاحت:

- على الأقل كان من الواجب أن تسألاني إن كنت أرغب حضور العشاء!

رفع "جوليان" حاجبا كثا، وشديد السواد، وقوسه:

- أخشى أنه لا خيار أمامك.

تدخلت "إيرين":

- إن "ديبورا" على حق.. يمكنك أن تسألها رأيها.

ارتجف فم "جوليان"، وفتح شفتيه عن ابتسامة أزالت في الحال كل دفاع "ديبورا"، وقال:

- يا آنسة "تيرنر" هل تقبلين أن تصحبيني هذا المساء؛ لحضور العشاء الرسمي في الغرفة التجارية؟

أخذت نفسا عميقا وهي تحاول السيطرة على ضربات قلبها، وتظاهرت بأنها تفكر في السؤال ثم ردت:

- سيسعدني ذلك يا سيد "هالوران".

بدا عليه الارتياح ثم زفر وقال:

- حسنا.. لننزع هذه الملابس.

ارتجفت الشابة وقالت له في تلعثم:

- أفضل أن تقوم "إيرين" بهذه المهمة.

أدار رأسه، واستأنفت "إيرين" مهمتها بنشاط ثم قالت لشقيقها الذي كان ينظر إليهما في المرآة.

- لا تتحاذق يا "جوليان"، واغمض عينيك إذا أردت أن تمر هذه المشكلة على خير.

في زمن قياسي وجدت "ديبورا" نفسها محشورة في الثوب الحريري وقد انتعلت حذاء ذهبيا واسعا بعض الشيء، وتخلصت من وشاحها البنفسجي ثم نهضت على ساقيها.

نظر إليها "جوليان" في حيرة وقال:

- قفي ثابتة.

- لقد نصحتني أمي ألا أفعل وإلا وصلت إلى الحفل وصدري شبه عار.

قالت "إيرين":

- سأقوم بتثبيت البلوزة.

قامت "إيرين" بتثبيت ظهر البلوزة بالجيبة بالدبابيس ببراعة شديدة ثم سألت:

- أعتقد أن هذا ممتاز.

أيدها "جوليان":

- نعم أكثر من ممتاز.

لفت "إيرين" حول رسغيهما المكبلين بالأصفاد وشاحا من الحرير، ودفع "جوليان" رفيقته إلى خارج المنزل.

كانت سيارة "بورش" فارهة بيضاء تلمع كل حلياتها المصنوعة من الكروم، وتنتظر في الجراج وقف الرجل متجمدا أمام البوابة، وقال ساخطا:

- يدي اليسرى!

- أستطيع أن أقود السيارة إذا رغبت.

- لا مجال للجدال فلم أسمح لأحد بقيادة سيارتي!

ابتسمت له "ديبورا" ابتسامة تعاطف وقالت:

www.rewity.com

- نظرا للظرف إما أن أقود السيارة أو أتبع السيارة جريا بجانبها، وهذا غير عملي طبعا.

- لقد قلت لا.

أحضرها إلى جانبه عن طريق تمرير يده اليسرى تحت ذراعها اليمنى. وقال:

- لنجلس والآن حاولي أن تفترشي الأرض بجوار صندوق نقل السرعات.

- سيتمزق جوربي.

قال وهو يشب على ركبتيه:

- لن يحدث إذا رفعتك ومررتك من فوقي، وحاولي ألا تضعي كوعك في عيني.

قهقهت بصوت صاف:

- إن لدي إحساسا أنني أمثل في فيلم لـ"لوريل وهاردي".

- أنا لا.

طوحها فوقه وبعد قليل استقرا في مكانيهما المتبادلين: هو خلف عجلة القيادة وهي بجواره. قالت:

- والآن عليك التصرف بالنسبة لذراع نقل الحركة.

رفع ذراعه اليسرى؛ وبالتالي يد الراكبة اليمنى ووصل إلى ذراع تغيير السرعات ولكنه لم يستطع الإمساك بها.

- بحق السماء.. إنني لا أستطيع الإمساك بها.

- أستطيع أن أغير السرعات بدلا منك ولكني أخشى أن أكسر الذراع.

ران صمت ثقيل في السيارة، وبعد لحظة همهم:

- استعدي لتقودي السيارة.

اتسعت عيناها على آخرهما وقالت:

- أنا؟ هل يمكنني؟ يا إلهي! أنا لم يسبق لي أن قدت سيارة سباق "بورش"، إن المحركات القوية تجعلني أفقد سيطرتي على نفسي.

- امنحيني هدنة من المزاح، واستعدي لتغيير الأماكن. تحرك نحو

اليمين، وهو يجذبها من الجهة اليسرى وبحركة محسوبة بعناية طوحها من فوقه وقد وضع يده وسط بطنها وظلت معلقة لحظات وهي تحاول التنفس بصورة طبيعية. ثم بهزة قوية منه غير وضعها وفي الحال وجدت نفسها وراء عجلة القيادة. قالت له:

- لقد كان أسهل لو درنا حول السيارة.

رد عليها بابتسامة جذابة:

- ولكنها أقل متعة. ارجعي بالسيارة للخلف. نفذت تعليماته، وسمعت صوت حشرجة جعلت أسنانها تصطك ثم بدأت السيارة الرجوع للخلف. صرخ:

- انتبهي! إنك ستصطدمين بالسيارة الـ"استيشن".

تجاهلته بكل بساطة، وبعد لحظات كانت الـ"بورش" البيضاء تنساب في الطريق الدائري في سرعة طائشة.

أمسك "جوليان" بتابلوه السيارة متشبثا بكل قوته وقال مزمجرا:

- أين تحسبين نفسك؟ في حلبة سباق رالي السيارات؟

- ماذا تقول؟

- اللعنة..! انظري أمامك! إنك ستصطدمين... ثم كتم سبابه، وأغمض عينيه بينما تجنبت "ديبورا" في اللحظة المناسبة شاحنة ضخمة ظهرت بانوارها الصفراء المبهرة امامها فجاة.

- إنك تتصرف مثل السائقين المحترفين. لماذا لا تسترخي يا "جوليان"؟ ودع الأمور تجري!

همهم عبارة غير مفهومة ربما تكون صلوات ودعاء او ربما لعنات يصبها على السائقة، وعلى نفسه، وعلى "جوني" واصفاده سبب الكارثة التي يواجهها.

فجاة ابتعدت السيارة، ودارت مع صرير الإطارات ثم دخلت في ممر محاط باشجار باسقة متجهة إلى فندق "جراند".

كبحت "ديبورا" السيارة عند الباب الرئيسي الذي تعلوه مظلة من التيل لها حواف ذهبية. وقفت السيارة بعد أن أحدثت هزة رهيبة. ثم

أعلنت بكل فخر:

- ها نحن قد وصلنا!

اقترب البواب في زيه الرسمي من السيارة الـ"بورش" والذي دهش وهو يرى السيد يدفع الباب ويخرج من ناحيته وهو يسحب معه السيدة خارج السيارة أخذ يتبع بنظراته الثنائي الذي اختفى في المبنى مبهر الإضاءة.

داخل الردهة شدت "ديبورا" يد "جوليان" وقالت:

- لحظة من فضلك.

التفت نحوها، وشملها بنظرته الغريبة، والتي يشوبها ذلك التعبير الذي يفجر بداخلها هزة بسيطة. سألها:

- ماذا هناك؟

قالت وهي تعدل من عقدة رباط عنقه الحريري:

- أوه.. إن رباط عنقك غير مضبوط.

ابتسم:

- لقد كنت كريها في السيارة فاعذريني.

رفعت طرف أنفها في حركة كوميدية وقالت:

- هذا وضع إنساني.. إنك لم تطق أن تعرف أنني أستطيع أن أقود سيارتك "اللامبورجيني" مثلك.

- "ديبورا" إنها سيارة "بورش".

- هذا سبب أدعى للغضب.

انفجر ضاحكا وقال:

- هل سبق أن قلت لك: إنك كنت رائعة، وإنني سعيد؛ لأنك معي هنا؟

- لا تثق بذلك؛ فإنني أحيانا لا أطاق.

قال لها وهو يصحبها إلى قاعة العشاء:

- هيا بنا إلى حلبة المعركة!

كانت القاعة عبارة عن حجرة فسيحة ممتلئة بالناس، وفي السقف المقبب علقت نجفة ضخمة من الكريستال. كان المدعوون قد اتخذوا

أماكنهم بالفعل.

همس "جوليان" شيئا في أذن الخادم الذي سارع بوضع أدوات مائدة إضافية إلى جانبه.

ألقت "ديبورا" بنفسها على المقعد وهي تزفر في ارتياح، وبدأت تسترخي. لم يطرف لها رمش وهي تأخذ كوب الماء وترفعه إلى شفتيها وهي تسحب في حركتها ذراع رفيقها المحاطة بالوشاح الحريري.

قال لها مقترحا بصوت منخفض:

- من الأفضل أن نضع يدينا أسفل المائدة.

تبع القول بالعمل، وفزعت "ديبورا" وهي تحس بأصابعه تداعب ساقيها.

تجمدت في مكانها، ولمحت بطرف عينها ابتسامة جارها الخبيثة أخرجت صوتا مكتوما، وحاولت أن تمسك كوب الماء بيدها اليسرى ثم احتست جرعة. أوشكت أن تختنق عندما زادت حركاته جرأة فهمست له:

- كف عن هذه اللعبة!

لم يعرها انتباها فحدجته "ديبورا" بنظرة صاعقة وقالت:

- هل يسليك ما تفعله؟

- بجنون.

- إذن ستسلى عندما يأتي دوري.

- هل هذه لعبة التخمين؟

ردت عليه بكلمات محددة المقاطع:

- الانتقام طبق من الطعام البارد.

كان العشاء بالنسبة لـ"ديبورا" حكما بالأشغال الشاقة أو عملا من أعمال السخرة؛ لأنها لا تستطيع استخدام سوى يدها اليسرى، ووجدت صعوبة رهيبة في محاولة تقطيع شريحة "الروزبيف"، وتخلت عن مطاردتها لحبات البازلاء، وأحست بالخيبة والغيظ عندما اكتشفت أن "جوليان" لم يترك لقمة واحدة من طعامه، وقد تحسن الوضع بعض

الشيء وقت تناول الحلوى فقد استطاعت أن تبتلع بضع ملاعق من سلطة الفاكهة، ومع ذلك اضطرت لأن تترك حبات الكريز وسط شرابها.

نهض عمدة المدينة، وطلب السكوت ثم أعلن أن السيد "جوليان هالوران" سيلقي خطابه، ومن حسن الحظ أن المنصة كانت بالقرب من مائدتهما ولم يكن أمامهما سوى القيام ببضع خطوات قليلة ومع ذلك لاحظ الكثيرون من الناس الوشاح الحريري الذي يغطي يديهما المربوطتين، وعندما صعدا معا إلى المنصة سرت همهمة دهشة بين الحضور.

تنحنح "جوليان" ليسلك حلقه. لاحظ أن كل الأنظار مركزة على الشابة التي تصحبه، ولم يكن هناك سوى وسيلة واحدة لإنقاذ ماء الوجه. قال:

- قبل أن أبدأ حديثي أحب أن أقدم لكم مواطنة شابة من مجتمعنا، والتي تشاركنا الرأي، والتي ستنال أفكارها اهتمام العديد من بينكم.. سيداتي آنساتي سادتي أقدم لكم الآنسة "ديبورا تيرنر"!

خطت خطوة للأمام، وحنت -في رشاقة- رأسها تحية للجمهور. أخرج الخطيب خطبته من جيبه ثم وضعها على القمطر الموجود أمامه ثم وضع يده اليمنى على الميكروفون وبدأ خطبته:

- لن أدهش أي شخص عندما أكشف هذا المساء عن موضوع اهتماماتي مرة أخرى. منذ بعض الوقت كففت عن المطالبة علنا، وبصوت مرتفع حول أن العديد من مواطني بلدتي يفكرون بصوت منخفض بشأن ربط مدينتنا بمدينة "لوس انجيلوس"، وإذا كنا مرتبطين بالتقدم والدخول بقدم ثابتة للقرن الحادي والعشرين الذي ننتمي إليه فلابد من انتمائنا إلى "لوس انجيلوس"، وبالنسبة للاستثمارات المالية فضلا عن السائحين الذين...

قطع حديثه فجأة، وهو يدرك أن مستمعيه ينظرون إلى "ديبورا" التي أعلنت:

- إنه على حق.. فإنه من الضروري للغاية أن يترسخ في أذهاننا أن ننضم إلى "لوس انجيلوس" نعم.. ولكن ما هي الوسيلة التي نحقق بها

ذلك؟ هذا هو السؤال؟ كيف ينتهي الأمريكي المتوسط إلى مجتمع "لوس انجيلوس"؟

سكتت فترة عن عمد ثم استمرت:

- سأقولها لكم. مدينة المجانين!

ابتسمت ابتسامة الذي يقدم الدليل للطلبة الجدد:

- إن الأمريكي المتوسط عند مروره بـ"لوس انجيلوس" يتوقع أن يرى أشخاصا غريبي الأطوار في جميع نواحي الشوارع، وتذكروا أن الحياة الطبيعية والسلوك الطبيعي يوجد هنا في "إيداهو" أما "كاليفورنيا" فهي الجزء الموغل في الغرابة!

انتشرت ضحكات مكتومة بين الحضور مع بعض التصفيق المتواضع من نهاية القاعة، وانتهز "جوليان" الفرصة؛ ليستأنف خطابه. قال بلهجة عصبية:

- إيه.. شكرا يا آنسة "تيرنر".

ثم مال عليها وهمس في غضب شديد:

- ما الذي حل بك؟

ظلت عيناها الرماديتان تحتفظان ببراءتها وهي تقول:

- إنني أحاول أن أساعدك. إن هؤلاء الناس ينتظرون دون شك تدخلي. ثم إن هناك حسابا بيننا لابد من تسويته.. هل تذكر هذا؟

نظر إليها نظرة سوداء كالحبر وهمس:

- إنني بدأت أفهم ما يحسه التعس السيد "أوبنها يمر" عندما اخترع القنبلة الذرية... ليستخدمها في التخلص من زوجته.

تنحنح ليسلك حلقه ثم استمر موجها الحديث للجمهور:

- وإذا أردنا أن نجتذب صناعات جديدة فيجب أن تكون مدينتنا متطورة أيضا، وحديثة مثل "لوس انجيلوس"...

قاطعه صوت "ديبورا" الواضح:

- بالضبط! إننا ينقصنا التحديث.. ولنعترف بذلك قبل أن نطالب بالحقيقة. علينا أن نقول نحن لعبة قديمة! جبل عفا عليه الدهر!

اشارت بيدها اليسرى إلى العمدة وهو رجل طيب يرتدي رباط عنق وقد انحشر جسده البدين في بدلة ثلاث قطع لونها رمادي، وكان واقفا عند نهاية المنصة:

- انظروا إلى عمدتنا.. إنه يبدو طيبا جدا.

ازدادت الضحكات قوة.

- إنه رجل بسيط، وذكي، وكريم.. وصحيح البدن! ولم يتورط في أي فضيحة، ولا أي عمل فساد.. والأسوأ أنه يقضي عطلاته مع زوجته!

تضاعفت الضحكات، وبدا العمدة وكأنه يستمتع بكل كلمة من كلماتها. قالت وهي تخفض صوتها: والآن إلى شمالنا تاملوا عمدة المدينة المجاورة. لا داعي للتاوه.. إنه رجل حديث. رجل المستقبل. رجل فريد. إن لديه حمارا يستخدمه بدلا من الكلب، ويملأ الجرائد المحلية بغرائب تصرفاته بينما عمدتنا ما الذي يفعله في تلك اللحظات الضائعة؟

قطعت حديثها وهزت رأسها في أسف:

- إنه يجمع الطوابع! إذن كيف يمكننا التشبه بـ"بابل" الحديثة التي هي "لوس انجيلوس"؟

انحنت الشابة وسط التصفيق والهتاف. مرر "جوليان" إصبعه في ياقة قميصه وهو يحس بالاختناق، وبدأت حبات العرق تلمع على جبينه وهو يحاول أن يستأنف خطابه بطريقة لائقة. بدأ:

- أما بالنسبة لمدراسنا.

لنتحدث عنها. لا يوجد وجه للمقارنة بينها وبين مدراس "لوس انجيلوس". إن تلميذاتنا من ذوات الجوارب الزرقاء، وشبابنا لا يهتمون إلا بالدراسة، ولا يحبون سوى الفتيات.. إنها فضيحة!

همهم "جوليان" وهو يمزق أوراق خطبته العصماء ونثر أوراقها:

- لتنزل عليك لعنة السماء، وليتقمصك الشيطان!

أوشكت القاعة أن تنهدم من قوة التصفيق. استأنف العمدة المشرق القسمات والمبتهج لدرجة الهوس الحديث ليعلن خطبة الختام.

بدأ الناس ينهضون ليرحلوا. دفع "جوليان" رفيقته نحو الباب، وهو يقول:

- تعالي عليك اللعنة! وقد لبس ثوب السفاح الذي يتحين اللحظة المناسبة: ليقضي على ضحيته. لقد اضطرا إلى التوقف وسط سيرهما غير المنتظم ثم أحاط بهما مجموعة من المعجبين المتحمسين. قال أحدهم:

- تحية كبرى من أجل إخراجك المسرحي يا "هالوران"! إنك فعلا موهوب!

قال آخر:

- قبل حضوري إلى هنا كنت أميل إلى الاندماج ولكن الحق معك يا عزيزي.. لا يجب التضحية بالتقاليد والأخلاق مقابل تقدم زائل ومزيف.

قال ثالث:

- رائع! يا له من استعراض! استمر يا عزيزي وستصل إلى مجلس الشيوخ!

بدأ الجمهور يتفرق. جاء رجل قصير القامة له عينان ذكيتان ليصافح "جوليان" قائلا:

- لقد أدهشتني جدا يا سيدي. حتى الآن كنت أعتقد أنك رجل أعمال قبل أي شيء، ولكن الغاية لا تبرر دائما الوسيلة. وقد عرفت كيف تثبت ذلك هذا المساء. لقد سعدت؛ لأنني اكتشفت أنني مخطئ.

ثم ابتسم ابتسامة عريضة. سارع الناس نحو باب الخروج، وبدأت القاعة تخلو.

تجمد وجه "جوليان" وأصبح كالتمثال. غادر الفندق برفقة "ديبورا" وهو يسب ويلعن ويكز على أسنانه، وعندما وصل إلى السيارة البورش نظر إلى ساعته ثم همهم:

- اللعنة! لقد تجاوزت العاشرة.. ليس لدي الوقت للتخلص من هذه الأصفاد اللعينة. إنه سيفوتني موعدي. آسف يا "ديبورا" ستضطرين لمصاحبتي.

سألته في خبث:

- إلى أين؟

- سنقابل رجلا في حارة!

الفصل الثالث

"قال "جوليان":

- يمكنك أن تقفي بالسيارة هنا.

- هنا؟

نظرت "ديبورا" نظرة قلقة نحو واجهات المنازل المظلمة التي على جانبي الطريق. إنها لا تعرف المنطقة ولكن النقوش البالية، والمخازن الخالية من الهواء النقي للحوانيت جعلتها تفكر في أحد أحياء "لوس انجيلوس" القديمة.. كان لايزال هناك بعض المارة: رجل عجوز يسير بصعوبة مستندا على الجدار بينما ألقت المصابيح القديمة ضوءا مصفرا على الرصيف، وساقية ترتدي مريلتها ونسيت أن تخلعها، ورجلان اختفيا فجأة وقد ابتلعهما الظلام الكثيف داخل منزل.

كانت "ديبورا" قد تركت المحرك دائرا وكررت:

- هنا؟ هل أنت متأكد؟

- تماما.

بعد دقيقة سارا نحو جهة مجهولة. سألته:

- "جوليان" أنت لم تقل لي ماذا تعمل في الحياة؟

- هل تخشين أنك قد وقعت في قبضة رئيس عصابة؟

- أعترف أنه نادرا ما يرتاد الرجال الشرفاء مكانا مثل هذا ما لم يكن هناك ما يريدون أن يخفوه.

- أو شيئا يريدون العثور عليه؟

- ماذا تبحث عنه بالضبط؟

قال بلهجة متهربة:

- إنها قصة طويلة.. لنقل إنني اضطررت أن ألعب لعبة صبيانية لا أحبها أبدا.

- كل ما يحدث له تفسير.

سكتت وأخذت تفحص العتمة المخيمة التي توحي بالتهديد وهما يدخلان حارة سد، وكان يسود الجو رائحة المقليات والرطوبة؛ ارتجفت "ديبورا" وقالت معلقة:

- لا صلة بين المكان، وفندق "ريتسز" الإمبراطوري.

قفزت هرة مذعورة فوق صندوق قمامة وهي تموء مواء يقطع نياط القلوب جعلت الشابة تجفل فزعة. همست بصوت مرتجف وهي تشير إلى شبح غير محدد وسط الظلام:

- "جوليان".. هل هذا هو من تواعده؟

اقترب المجهول بسرعة، وأضاء نور المصباح الشاحب ملامحه المشدودة: كان نحيفا، ووجهه بارز العظام.

قال بصوت مرتجف:

- "هالوران"؟

- نعم. هل لديك شيء من أجلي؟

تأمل الرجل "جوليان" في عصبية، أعلن في شك:

- من المفروض أن تأتي بمفردك

فجأة تراجع وقال:

- لماذا تحمل الأصفاد؟ ما الذي جرى؟ من هذه الفتاة؟

قالت "ديبورا" وقد بدأت تستمتع:

- أنا الغريف "تيرنر".. هيا لننتهي من الأمر: لانني يجب أن أعيد هذا الرجل إلى السجن.

قال "جوليان":

- إنها تمزح

- أريد..

- هل لديك شيء تسلمه لي.. نعم أم لا؟

- مجرد رسالة. صاحبة المشرب قالت أن انتظرك هنا، وأقول لك... انتظر. أه ها هي.. لقد تذكرت "لقد عاد "أوليس"- وهو في كامل الصحة ولو انتظرت دورك فسيعيد لك أملاكك".

نظرت "ديبورا" إلى "جوليان" وقد استدارت عيناها انفجر "جوليان"، وصاح موجها الحديث إلى المجهول:

- ليتعفن في الجحيم.. كيف تبدو صاحبة المشرب؟

هز المجهول كتفيه المحدودبتين قائلا:

- مثل كل الحيزبونات العجائز اللاتي مثلها: شعر بلون الباذنجان، وحذاء ثقيل، وصدر بارز.

- ما لون عينيها؟ ومشيتها؟ ألا تسير مثل الرجال؟

قاطعته - اسمع.. كف عن تعذيب هذا الرجل المسكين.. لو قال لك اكثر من اللازم لغضب الرئيس الكبير.

نظر الغريب إلى "جوليان" وقد غطى العرق جبينه ثم قال:

- أي رئيس كبير؟ كم عددنا في الموضوع؟

كتم "جوليان" ضحكته وقال:

- إن صديقتي تحب دائما أن تمزح.

- لقد سبق أن قلت ذلك.. إنه غير منظم.

- لا يوجد رئيس كبير.. هيا بنا يا "ديبورا" فلم يعد هناك ما نستطيع الحصول عليه.

- دقيقة من فضلك. إن صاحبة المشرب أكدت لي أنك ستدفع لي.. انت

مدين لي بعشرين دولارا.

صاحت "ديبورا" في دهشة:

- عشرون؟ يالللعار! عشرة تكفي تماما.

- "ديبورا"!

همست:

- حسنا خمسة عشر دولارا، ولا تزد بنسا. من المحتمل أن صاحبة المشرب دفعت له مقدما.

اخرج "جوليان" من جيبه ورقة بعشرين دولارا ودسها في يد الرجل المواجه له، وبعد خمس دقائق سارت "البورش" ناحية الأحياء الجديدة.

همهمت "ديبورا":

- إنها سرقة!

رد عليها "جوليان" بصوت جاف:

- إن النقود لا تهمني.

- ما دام لم يكن معه ما تريده فإنها خدعة لسلبك، ورفع القيمة المطلوبة عند تسليمها لك.

نظر إليها بإمعان في صمت ثم قال:

- بحق السماء يا "ديبورا"! عن أي شيء تتحدثين؟

- إن الوضع يشبه مشاهد فيلم "الخيال الأزرق" فقط لم يستطع أي شخص أن يضع يده على لعبة الدب المحشوة بالذهب. لقد غرقوا جميعا في نفس السفينة.. هل فهمت؟

- تماما كما لو كنت تتحدثين باللغة الصينية.

- إنني أحدثك عن فيلم قمت بالتمثيل فيه. لا تقل لي إنك لم تشاهده.

نظرت إليه نظرة امتعاض واعتراض.

- أخشى انني لم أفعل.

ابتسمت فجأة:

- إنك لم تفقد شيئا.. إنهم سيعرضونه في التليفزيون في الأسبوع القادم.

- أعدك أن أشاهده.. دوري إلى اليمين.

نفذت طلبه وقالت:

- ستكون أمامك فرصة واحدة من عشرة أن تشاهدني ولو راقبت الأسماء في المقدمة فسترى اسمي: انا أقوم بدور "الفتاة ذات المايوه البكيني" لمدة عشر ثوان على الشاشة.

سالها وهو يضحك:

- هل أنت ممثلة؟

- إنني أحاول البحث عن لقمة العيش.. أين سنذهب؟

- إلى سوبر ماركت يعمل بالليل: أريد أن أحضر منشار معادن.

اصطفت السيارة "البورش" في ساحة الانتظار المضاءة مثل سوق عامة بالمقارنة بالحارة السد. كان قسم الأدوات والمعدات بالسوق يقدم مجموعة رائعة من مناشير الحديد. سالها:

- أي نوع تشترينه؟

قال صوت جاف في ظهره:

- ولا واحد.

كان الرجل الذي تكلم عملاقا ملتحيا يرتدي بذلة عمل مغطاة ببقع الشحم. سأله "جوليان":

- ماذا تقول؟

- أنا ميكانيكي، وأنت تريد التخلص من أصفادك؟ أليس كذلك؟

قالت "ديبورا" وعلى وجهها ابتسامة عريضة:

- بالضبط.. ماذا في رأيك يجب أن نشتريه؟

أحس "جوليان" بالضيق وهو يلاحظ أنها تجاهلت زبائن القسم الذين أخذوا يدورون حولهما وهم يفحصون الأصفاد في فضول. قال الرجل:

- بالكماشة.. لو كانت الأصفاد من الحديد فإن منشار المعادن يصلح للمهمة أما وهي من الصلب.. أكملت العبارة وهي تضحك:

- فلن يفلح معها سوى الكماشة.. لقد كانت مساعدتك لنا ثمينة يا

سيدي.

همهم "جوليان" وهو يزداد شعورا بعدم الارتياح:

- "ديبورا"!

غمز بعينه نحو حارس في زي رسمي أخضر يقترب منهما قال لها الميكانيكي:

- ناديني "ديكي".. إنني فقط أردت الخدمة، ويضايقني كثيرا عندما أشاهد الناس يشترون المعدات الخطأ.

- حسنا.. بفضلك تم إنقاذنا.. إلى اللقاء يا "ديكي".

بلغ الغضب بـ"جوليان" مبلغه حتى إنه حملها تقريبا، وسارع نحو الخزينة. زفرت بعد ذلك وهما في ساحة انتظار السيارات:

- يا له من رجل ساحر.

رد عليها بلهجة مريرة:

- إنه جوهرة! لقد قدمت عرضا مسرحيا مرة ثانية، وقد فاض بي الكيل من ذلك.

ظن أنه لمح وميض الاستمتاع في عينيها الواسعتين.

- وقد تعمدت أن تفعلي ذلك..

فجأة انفجر ضاحكا. لماذا يدهش؟ من الطبيعي أن ينتظر أي شيء غير عادي من شخصية فريدة وغريبة الأطوار مثل "ديبورا".

كان "ديكي" الميكانيكي على حق. ففي خلال ثوان قطعت الكماشة السلسلة التي تربط الأصفاد، ولم يبق سوى التوجه إلى حداد أو صانع مفاتيح وأقفال من الغد لنزع الأصفاد.

مرت رحلة العودة في صمت كئيب، وابتعدت أنوار ساحة الانتظار وفجأة أحس "جوليان" بالانهزام. سرح بخياله وهو يتصور "ديبورا" تثرثر مع "أندي"، و"تيم"، وتذكر روح الفكاهة العالية التي تتمتع بها.

كان قد استعاد سلطته على سيارته وقد سعد بذلك، وكلما اقترب من وجهته طاردته الأفكار المزعجة لقد تأجلت مشروعاته للزواج إلى زمن غير محدد ومع ذلك كان من المستحيل أن يعلن لـ"ديبورا":

"اسمعي.. إنني سأتزوج قريبا امرأة أخرى ولكني أريد أن أقيم علاقة غرامية عابرة معك".

كانت عينا "ديبورا" مركزتين على الزجاج الأمامي للسيارة وهي تتساءل كيف يمكن أن تنشأ عاطفة بهذا العمق خلال ساعات قليلة؟

ارتجفت عندما قبضت يد السائق على يدها. وقال:

- لقد كنت متلهفا على خلع الأصفاد ولكني الآن مشتاق إلى يدك.

ردت عليه بعد فترة صمت:

- لقد كانت ليلة غير عادية.

- هل أحسست بذلك أنت أيضا؟

- لدي إحساس أنني أعوم في الفراغ.

هز رأسه:

- وأنا كذلك. وكان شيئا ما لايزال ناقصا.

مالت "ديبورا" للأمام، وخلعت صندلها الذهبي ثم ردت عليه وهي تزفر:

- لقد فكرت نفس التفكير. خلال بضع ساعات كنا لا نفترق، واضطررت للاشتراك في حياتك. والآن وقد انتهى ذلك لابد أن تحس بالارتياح.

ثم نظرت إليه نظرة ماكرة، وأردفت:

- في الحقيقة نحن لا نعرف بعضنا البعض.

دار عند ناصية شارع بالقرب من منزل "إيرين" ثم اقتربت السيارة "البورش" من سيارة "فولفو" قديمة كانت مصفوفة بالقرب من الرصيف. أشارت إلى "الفولو":

- إنه وهم.. أنا سعيدة لمشاهدتي سيارتي العتيقة حسنا.. يجب إذن استجماع شجاعتي؛ لأقول وداعا. لقد كان مثيرا أن تعرفت عليك يا سيدي وشكرا.

مد يده وربت على خدها الذي في نعومة الحرير وقال:

- هل أنت شجاعة يا "ديبورا"؟

كان قريبا منها لدرجة أنها أحست بلفح أنفاسه لوجهها بينما لمعت عيناه السوداوان وسط العتمة قالت في تردد:

- تقريبا لست شجاعة على الإطلاق! أحست أنها تتخبط وسط عالم غريب عنها لا تسود فيه سوى المشاعر والأحاسيس الخيالية أما بالنسبة لـ"جوليان" فقد اختفى العالم المادي من زمن بعيد. لم يعد هناك مستقبل، ولا الخال "شارلي"، ولا "كلويه"، ولا يوجد أحد سوى وجه "ديبورا" المرتجف أمام نظراته الملتهبة، وقال لاهثا:

- إن هذا لا يكفيني.. لقد فقدت صوابي! تأوهت:

- أعرف ذلك.

غاصت نظرات "جوليان" المحمومة في أعماق حدقتي عينيها بلون العنبر. قال لها:

- تعالي معي فلم أشبع من فتنتك.. يا إلهي كم أصبحت مشتاقا لك حتى قبل أن تذهبي. فجأة انتبهت، وأصابها الذعر عندما نظرت إلى ساعة تابلوه السيارة وقالت في تلعثم:

- يا إلهي! إنه منتصف الليل تقريبا.. لا أستطيع أن أذهب إلى منزلك.

- هل تؤدين دور "سندريلا" التي يجب أن تعود إلى البيت قبل دقات منتصف الليل؟

عضت على شفتها وقالت في تردد:

- أنا.. يجب أن أذهب إلى العمل.

- إلى عملك؟ في هذه الساعة؟

- بالضبط. قل لـ"إيرين" إنني سارد لها ثوبها عندما أمر لآخذ مكنستي الشفاط.

- مكنستك الشفاط..

فكر أن الانفعال جعله غبيا. كان في أعماقه صوت العقل يؤكد أن من الأفضل أن يتركها ترحل. إنه يشتهي هذه الفتاة؛ لأنها لا تشبه النساء في وسطه.

ابتسمت "ديبورا" وقالت:

- تصبح على خير يا "جوليان".

قبضت يدا السائق بعنف على عجلة القيادة وقال ببرود:

- إلى اللقاء!

أغمض عينيه، وعندما انغلق باب السيارة بعد أن غادرتها أحس برجفة.

الفصل الرابع

- بحق السماء ما الذي أصابك يا خالي "شارلي"! أنت لا تدرك مدى خطورة أفعالك ببساطة!

فرد "جوليان" شعره الأسود ثم استدار نحو الرجل الجالس أمامه، ألقى خاله رأسه الأصلع للخلف، وأسنده على ظهر مقعده الوثير ذي المساند والمصنوع من جلد النمر ثم ألقى نظرة شاردة على المكتبة التي تئن أرففها من الكتب الموضوعة عليها. كان الاثنان في مكتب "جوليان" بشقته.

كان "شارلي ماكروجر" قد اكتشف صفة الصبر الأسطوري من ممارسة مهنة مفتش الشرطة القاسية في "لوس انجيلوس" لسنوات طويلة. ضم أصابعه فوق كرشه المنتفخة، وأخذ يتأمل ابن أخته الوحيد في إمعان وصبر يثيران الحنق.

أجاب:

- أنا أفهم أشياء كثيرة جدا أكثر مما تتصور يا ولدي كان له صوت موسيقي ناعم وهو يكمل:

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

- أنت في السادسة والثلاثين وليست لديك اسرة، ولا أطفال، ولا حياة خارج نطاق العمل.

- وماذا؟

- هذا غير طبيعي. أنت على وشك أن تفسد أجمل سنوات حياتك...

أطلق زفرة، وأغمض عينيه وكان ذلك من تأثير القلق ثم قال:

- يوما ما عندما تعيد حسابات سنواتك ستتذكر انني كنت على حق...

فتح عينيه ثانية وحدج الشاب في حزن مكلوم وقال:

- ولكن لم يعد هناك وقت لاستعادة الزمن الضائع.

صاح "جوليان" ووجهه حاد الزوايا يعبر عن دهشته:

- هيا! لقد فعلت عبر السنين نفس الشيء يا خالي! لقد كنت تكرس روحك وجسدك لمهنتك، ولم تكن تعيش إلا من أجل الشرطة.

رد الخال "شارلي" وقد بدا عليه المزاج العكر:

- لا على الإطلاق.. لقد كنت أتعامل مع مادة إنسانية، ومع ردود فعل بشرية. لقد كنت أتدخل في أفعال وحركات المخلوقات الحقيقيين الأحياء وليس أشخاصا مجردة مثلك.

أسند "جوليان" يديه على إطار المدفأة الرخام اللامع ثم قال بصوت غاضب:

- وهكذا تعتقد انك مضطر أن تدفعني إلى تغيير حياتي، وحتى يتم ذلك أخذت الطريقة الغبية.. أو بمعنى أصح: أغبى طريقة في الدنيا. خبرني فيم يمكن أن يؤدي ضياع هذه الأوراق المهمة في إقناعي بأن أعثر على زوجة؟

قطع حديثه، وأخذ نفسا عميقا وأكمل:

- ثم لو كانت ذاكرتي قوية فإنك قضيت أكبر جزء من حياتك وأنت وحيد.

أسند "شارلي" رأسه مرة ثانية على مسند المقعد وقد أغمض عينيه، وظل صامتا وقتا طويلا: حتى يتساءل محدثه هل استغرق في النوم،

وعندما تكلم جاء صوته ناعما طبيعيا وشبه همس:

- لقد عشت سنتين فقط مع زوجة خالك "كاري". سنتان من السعادة لا أقبل أن استبدلهما بدستة من الأعمار بدونها. لست أدري كيف أشرح لك؟ لقد كنا- أنا و"كاري"- شخصين مختلفين ومع ذلك لم نكن إلا كيانا واحدا.

هز رأسه:

- إن ذاكرة "كاري" القوية هي التي جعلتني أتصرف نحوك بهذه الطريقة حتى...

زادت عيناه الزرقاوان عمقا ثم قال:

- حتى لو أنكرت علي ذلك.

جلس "جوليان" بثقل فوق الأريكة. للآن ظل تاركا نفسه لخاله يتلاعب به ويناوره من أجل أن يسعده، ودون أن يعرف أهدافه.

- اسمع يا خالي! دون رغبة في إغضابك فإن لعبة التخمين هذه رغم أنها تبدو مسلية إلا أنها تخرجني عن صوابي. إن تلك المستندات التي أخذتها من فوق مكتبي لا تخصني. بل إنها حتى لا تخص الشركة إنها خرائط.. لا يهم! لقد استامنني عليها مخترع؛ حتى أستطيع دراسة قسم الإنتاج. هل فهمت؟ ثم رفع صوته دون أن يقصد:

- لقد اختلست ملفا سريا أنا مسؤول عنه، ويبدو أنك لم تقدر النتائج ولا التبعات لعملك هذا. وإذا لم أعده إلى صاحبه فسندخل السجن: أنت من أجل السرقة، وأنا من أجل التآمر معك. هل هذا واضح؟

كان وجه "شارلي" الوردي الذي يراقبه "جوليان" قد ظل دون أي تغيير، ولم يظهر عليه أي تعبير. لقد كان من الصعب تخمين عواطفه الحقيقية. كانت عيناه الزرقاوان تلمعان بوميض خاص. قال بهدوء:

- في يوم من الأيام ستشكرني

نظر إليه "جوليان" وقد رفع حاجبيه دهشة. ثم انفجر غاضبا:

- بحق السماء! في الوقت الذي كنت تعمل فيه في شرطة التحقيقات فإنك تستخدم كلاما مغايرا بالنسبة لمخالفة القانون. لقد ارتكبت سرقة

حمقاء، والتي تعطيني الحق في مقاضاتك.

أبعد ذراعيه عن إطار المدفأة ثم تركهما يسقطان بجواره بثقل:

- لنعترف بأنك تصرفت من واقع حرصك على مصلحتي، وإن كنت لا أفهم كيف يمكن أن يكون ما فعلته في صالحي. ما صلة هذا بطريقة حياتي؟ وما هي المعجزة التي تجعلني أبدل حياتي الخاصة بدعوى أن حياتي المهنية قد اضطربت رأسا على عقب. لم يطرف للخال "شارلي" رمش وقال:

- ستفهم ذلك جيدا.

نهض "جوليان" ثم ذهب ليركع بجوار الرجل العجوز الذي ظل جالسا في مقعده الوثير المكسو بجلد النمر وقال:

- بالمناسبة لدي خبر سار أعلنه لك: لقد قررت أن أطلب يد "كلويه".

ضاقت العينان الزرقاوان:

- "كلويه ديفيز"؟ متى ذلك؟

- هذا المساء، وخلال سنوات سيضيق صدرك من عدد الأطفال الذين سانجبهم كما تفعل مع أطفال "إيرين" إذن.. أعد لي وثائقي ودعنا لا نتحدث في ذلك بعد.

توالت على وجه العجوز سلسلة من التعبيرات كل منها أكثر غموضا من الآخر. ردد بعد صمت قصير:

- "كلويه"؟

- نعم.. هل رضيت الآن؟

مال العجوز براسه جانبا وقال:

- إنها امرأة غير عادية طبعا! ولكنك ستتزوجها دون أن تحسب حساب...

ثم ضرب فخذه براحة كفه وقال:

- لا يا "جوليان"! إنني لا أريد أن أضايقك ولكن رغم مزاياها العديدة فإن الآنسة "ديفيز" لن تصلح زوجة لك.

- لماذا إذن؟

- إنها لن تستطيع أن تخرجك من قوقعتك.

- إن لك وجهة نظر فريدة، وشاذة عن الزواج.

نهض الخال "شارلي"، وضحك ضحكة خبيثة:

- أنت تنسى الوجه الآخر من العملة يا عزيزي.

- ما هذا الذي تحكيه؟

- يوما ما ستفهم معنى كلامي.

على هذه الكلمات دار على عقبيه، وغادر الحجرة تبعه "جوليان" في الردهة، ووصل معه في وقت واحد إلى باب المنزل، وصاح فيه:

- لحظة من فضلك! لا تدعني أتخبط في الشك ما الذي تنوي أن تصنعه بالملف؟

ربت "شارلي" على كتف ابن أخته وقال:

- سنظل على اتصال يا فتى! سنظل على اتصال! خرج وانغلق الباب برفق على جسده الضخم.

ظل "جوليان" فترة طويلة وهو يتامل الباب المغلق. قال في نفسه إنه لا حاجة لامرأة حتى تخرجه من قوقعته. رن جرس ساعة حائط في مكان ما في الشقة ينبهه أنه لم يبق أمامه سوى نصف ساعة، حتى يستعد قبل وصول "كلويه".

لم يكن يرغب أن يدعوها للعشاء في المطعم؛ حتى يستطيع أن يتحدث معها وجها لوجه. إن المكان العام لا يصلح لعرض هذه الأهمية. كان "جوليان" قد قرر بحزم أن يطلب "كلويه" للزواج رغم تحفظات خاله "شارلي"، وهي تحفظات مثيرة للسخرية طبعا. إن الرجل العجوز يجد دوما أعذارا حتى لا يرد له الملف المفقود، ويبدو أنه يتلذذ بهذه اللعبة السخيفة.

فكر "جوليان" وهو تحت الدش كيف ستكون حياته عندما يتزوج ولكن ملامح "كلويه" الرقيقة، والنبيلة اختفت وراء وجه صغير له عينان واسعتان رماديتان، وفم مثل فم العروسة. عندما تذكر شعر "كلويه" الأشقر رأى شعرها كثيفا، وفاحم السواد: شعر، وفم، وعينا "ديبورا".

إن لدى "كلويه" نقاطا كثيرة مشتركة معه.. كان مصرا على التفكير في مزايا الاتفاق بينهما، ومع ذلك "ديبورا" فقط هي التي تعرف كيف تسليه، وتجعله يضحك، وفي كل مرة يحاول أن يتصور نفسه في حالة حب مع "كلويه" يجد "ديبورا" محلها.

هز "جوليان" رأسه، واختفت الرؤيا.. فكر لو انه فقط احضرها إلى البيت في ذلك المساء الشهير! ولكنه يعلم أن ساعات معها لن تشفي غليله وعطشه إلى حبها.

خرج من تحت الدش، ودعك جسده بقوة بالبشكير لقد كان ثائرا على نفسه؛ ألن يكف عن التفكير في هذه الفتاة؟ إنه لم يرها من أسبوع ولكنه كان يحصل على أخبارها عن طريق "إيرين". كانت أخته قد تحمست بشكل رهيب لـ"ديبورا" فور وصولها عنده منذ قليل.

- يا لها من فتاة مذهلة.. لقد مرت على المنزل؛ لتأخذ مكنستها الشفاط، وظلت ساعتين تلعب مع "أندي" و"تيم".. إن الأولاد يعشقونها.

تظاهر "جوليان" بالصمم ، وفي اليوم التالي- وكان الأربعاء- كان جالسا مسمرا أمام جهاز التليفزيون يشاهد فيلما سيئا، ولديه أمل أن يشاهد ممثلة ثانوية تظهر في دور "فتاة البكيني" حتى وإن كان ذلك فوق شاطئ مليء بفراشات شبه عاريات.

كان من المستحيل ألا يلحظ "ديبورا" وهي مبهرة مثل زهرة السوسن وسط حقل من الزهور البرية. أخذ يتساءل وهو يرتدي ملابسه عم إذا كانت تلك الفتاة التي قدمها في حفل الغرفة التجارية كمواطنة تسكن فعلا "ساندلي". هناك العديد من المدن تحيط بـ"لوس انجليوس". ليس هناك سوى أن يعثر على رقم تليفونها في المنطقة.. ضم قبضتيه في غيظ. إنه لن يتعب نفسه.. إن مشروعاته لمستقبله واضحة ومحددة، و"ديبورا تيرنر" لا مكان لها فيها على الإطلاق.

مرر المشط في شعره الذي كان لايزال مبتلا عندما رن جرس الباب في مرح. هذا المساء ستقبل "كلويه" أن تصبح زوجته، وفي الأيام التالية سيعلنان خطبتهما، وعلاقتهما العاطفية.

قال لمربيته ومديرة بيته وهو يسارع إلى باب الشقة:

- سافتح الباب بنفسي يا سيدة "بيكمان".

قالت له "كلويه" وهي تبتسم:

- مساء الخير يا "جوليان"!

كانت الآنسة "كلويه ديفيز" تمثل بالضبط نمط المرأة التي يحب أن يتعامل معها "جوليان": كانت ذات أناقة طبيعية غير مفتعلة، وهي ذكية ومتحفظة، وكانت ترتدي ثوبا فضفاضا أزرق فاتحا محلى بتطريز ذهبي في بساطة راقية، وكان لون شعرها العسلي يبرز جمال أحمر الشفاه على شفتيها، وخديها الورديين.

ابتسم "جوليان". قال وهو يقود ضيفته إلى الصالون:

- أنت رمز للجمال هذا المساء!

شكرته بنبرة اتقنت إخراجها موسيقيا. قال:

- تفضلي بالجلوس.. إن السيدة "بيكمان" ستقدم العشاء خلال عشر دقائق. هل تريدين شرابا؟

- بكل سرور.

جلست على الأريكة، وبدت منسجمة تماما مع البيئة المحيطة به. من يراها يقول إنها خلقت لتعيش وتنتقل وسط صالون فاخر بالوان حريرية.

تقبلت باناقة الكوب الزجاجي الكريستال الذي قدمه لها "جوليان"، وبدأت الحديث عن معرض رسم راته مؤخرا. فكر أنها "كلويه هالوران" إن الاسمين ينسجمان في روعة.

جلس بجوارها وفجأة أحس بإصراره على إقناع نفسه أن "كلويه" هي الزوجة المثالية.

- وقال "سامي": ليس صحيحا.. في الزمن الذي كنت فيه من "جوانيمالا".

قطعت "كلويه" حديثها، ونظرت إلى "جوليان" بإمعان:

- هل تسمعني يا "جوليان"؟

هز رأسه.. ثم قدم العشاء بواسطة السيدة "بيكمان" التي كانت بادية السعادة، وأثناء تناول الطعام ركز "جوليان" كل انتباهه على ضيفته، ووجد أن تعليقاتها مناسبة، وروحها المرحة لذيذة.

جاءت المربية؛ لترفع المائدة، وأحضرت الحلوى ثم اختفت خفية.

اقترب "جوليان" من "كلويه"، وأمسك بيدها: كانت أصابعها طويلة، وأظافرها لامعة وقال في نفسه: "الآن".

استندت "ديبورا" على المساند المكسوة بالقطيفة ثم نظرت إلى إحدى المرايا التي تستخدم كجدران لمقصورة المصعد، وكانت الموسيقى التي تذاع في سقف المقصورة فور ضغطها على الزر قد ذكرتها بإلحاح بعيادة طبيب أسنانها. ابتسمت لصورتها في استمتاع. كان الطاقم الذي ترتديه كلوب قد كشف عن جزء من كتفها البضة المستديرة، وربتت بحركة ساهمة خصلة شعر متمردة أفلتت من ضفيرتها السميكة ثم شدت الحزام القماش بلون أحمر فاتح مطرز عليه أسماك.

خلعت إحدى فردتي حذائها وهي شاردة تفكر ثم دلكت وجه قدمها، وحكت أسفله في الموكيت الذي يكسو مقصورة المصعد. إن كل ما في هذه العمارة يذكرها بعمارتها المختلفة تماما. هنا كل شيء يلمع ويضيء مثل داخل صالون سيارة "كاديلاك" جديدة هناك كان شيش معظم النوافذ محطما، ولا داعي لذكر الرائحة...

استعادت منظر قفص بئر السلم المصنوع من الخشب المتآكل حيث تفوح منه باستمرار رائحة القرنبيط المقلي، ودهن الغنم.

ازدهرت ابتسامتها، وتألقت بشكل واضح. إن السيد "هالوران" لم يلتهم أبدا خبزا يابسا عليه زبدة صناعية؛ حتى يستطيع دفع إيجار شقته مثلها يا إلهي! الإيجار! اختفت ابتسامتها؛ إنها مدينة لصاحبة العقار بإيجار شهرين.

وقف المصعد في الدور الثالث والعشرين، وبعد لحظة تردد رنت "ديبورا" جرس الشقة ٢٣١١. فتح بنفسه الباب. قالت له:

- مرحبا.. إنني أعشق عمارتك.

أخذ يتاملها وحدقتا عينيه خرجتا من محجريهما وكأنه يرى شخصا عائدا بعد غياب، وخلال جزء من الثانية اشتعلت نار متأججة في داخل حدقتيه السوداوين، وبعد لحظة اختفى اللهيب وفقد وجهه النحيف كل تعبير.

دخلت "ديبورا" الشقة عن طريق الدهليز خلال باب مزدوج زجاجي، ولمحت شقراء ضخمة جالسة أمام مائدة من خشب الأكاجو مقامة لشخصين. قالت:

- أوه.. انت تتناول عشاءك.

رد عليها بجفاء:

- لا يمكن إخفاء أي شيء عنك! لماذا أتيت؟ وكيف عثرت على عنواني؟

قالت وهي تدفع الباب الزجاجي المزدوج، وتدخل الصالون:

- لقد أعطته "إيرين" لي.

ثم أضافت موجهة الكلام لـ"كلويه":

- مساء الخير.

أخذ "جوليان" على غفلة فقام بعملية التعارف:

- الآنسة "ديبورا تيرنر".. حسنا.. مروجة بضائع: الآنسة "كلويه ديفيز".

قالت "ديبورا" وهي تصافح يد الضيفة بشدة:

- تشرفنا. ولكني لن امنعك من إكمال وجبتك تصرفي وكأنني غير موجودة.

اطلق "جوليان" وراءها زفرة مكتومة، وانهمكت "ديبورا" في فحص اللوحات الزيتية التي تزين الجدران، وسمعت من ورائها صاحب البيت يتحدث مع ضيفته بصوت منخفض. اجابته "كلويه":

- لا تقلق عليّ يا "جوليان". أستطيع أن استغني عن الحلوى. هل تحب أن أترككما؟

- لا.. أريد أن أتحدث معك.

كانت "كلويه" قد نهضت بالفعل؛ فعادت للجلوس على مقعدها مرة

ثانية وقالت:

- طبعا.. ماذا تريد أن تحدثني عنه؟

صاحت "ديبورا" في حماس دون أن تستدير:

- يا لها من لوحة جميلة! والألوان فخمة. هل هذه لوحة أصلية؟

نظر إليها "جوليان" ورد قائلا:

- نعم.

بدت وقد أخذت راحتها تماما وكأنها في بيتها، وهي تنتقل من لوحة إلى أخرى وقد بدا عليها الانبهار. اعترف بأنها تنتمي إلى المكان إلى حد مذهل، ولا تشعر بأي حرج كما كانت جذابة لدرجة لا تصدق. أحس بوخز في قلبه.

- "جوليان"؟

استدار "جوليان" نحو "كلويه" وقد شردت عيناه في الفراغ. ابتسمت شبه مستمتعة وشبه متبرمة.

- في اللحظة التي ظهرت فيها الآنسة "تيرنر" كنت على ما يبدو على وشك أن تحدثني في موضوع له أهمية قصوى. هل تذكر ذلك؟

هز رأسه في بطء:

- بالتأكيد.. لقد أردت أن...

صاحت "ديبورا":

- شيء غريب!

اقتربت من المائدة وعيناها مثبتتان على "كلويه" وقالت:

- يقال: إن الإنسان عندما يتعود على شخص ويتردد عليه ينتهي بأن يصبح مثله.. حسنا هذا قول صحيح! إن للآنسة "ديفيز" نفس ابتسامتك يا "جوليان".. أليس هذا غريبا؟

- "ديبورا"؟

لوت فمها وقالت:

- أرجو أن تعذراني لمقاطعتكما. هيا يا "جوليان" ما الذي كنت تريد أن تقوله لها؟

اكتفى بأن حدجها بنظرة صاعقة. كان قد بدا في ذلك المظهر المتوحش عندما كان يزجر أطفال "إيرين" ولكن لم يكن له أي تأثير على "ديبورا" عندما ذهبت إلى بيت "إيرين"؛ لتأخذ المكنسة الشفاط لم يكن الأطفال الثلاثة يتحدثون إلا عن الخال "جوليان" أما بالنسبة لـ"إيرين" فلم تبخل بقصائد المدح عن أخيها، وعددت مناقبه، وارتباطه الشديد بالأسرة، وأنهت مديحها بالقول:

- لابد من أن يتزوج! لقد حان الوقت لذلك. لم تجرؤ "ديبورا" أن تقول لها إنها و"جوليان" ليسا من عالم واحد، وأن مجرد الصداقة البسيطة بينهما كشفت عن استحالة تحقيق الحلم ولكنها نظرت إلى "إيرين" في حسد مفاجئ ولما كانت ابنة وحيدة فإنها حرمت من الشعور بالعاطفة الأخوية. فجأة نسيت أفكارها السوداء، وانفجرت ضاحكة. سألها "جوليان" الذي لم يكف عن مراقبة وجهها:

- ما الذي يضحكك؟

نظرت إليه نظرة تعبيرية:

- إنني أفكر في "ميكي" لقد انتهى إلى إنتاج المفتاح.

- آه.. حقا؟

- نعم.. لقد حصل على تصفيق حاد بسبب ذلك أكثر مما حصلت عليه طوال حياتي العملية. لا توجد عدالة في الحياة الدنيا.

ضحك ضحكا عفويا ثم استدار نحو المرأة الأخرى:

- "كلويه"..

قالت "ديبورا" وعيناها على "كلويه":

- أعرف تماما أنك تذكريني بشخص ما.. "جو إبر". إن لك نفس جبهته؟ هل أنت قريبته؟

أجابت المرأة الأخرى بهدوء:

- لا أعتقد ذلك.

- خسارة.. إنه فتى غير عادي.

- لا أشك في ذلك.

www.rewity.com

- لقد قدم عدة إعلانات في التليفزيون. هل رأيتها؟

- لا.. لا أظن ذلك.

- إنه ممثل إعلان "الملابس الداخلية الخضراء".

- لم ألاحظه.

- مسكين "جو". إنهم لا يلاحظونه أبدا، وهذه مأساة حياته.. حسنا إنه على الأقل يكسب عيشه.

ابتسمت "كلويه" وسألتها:

- هل تعملين في الاستعراض يا "ديبورا"؟

- هذا ما يدعيه وكيل أعمالي "موراي" ويقول دائما...

قال "جوليان" بلهجة متبرمة:

- "ديبورا"!

ابتسمت ابتسامة خفيفة فتدخلت "كلويه" وهي تضحك من صميم قلبها:

- اسمع يا "جوليان". سنتحدث غدا عن مشروعك غدا.. اتفقنا؟

دفعت مقعدها للخلف ونهضت. قالت "ديبورا":

- إنني لا أريد أن أطردك.. قولي لي من أين اشتريت حذاءك؟ إنه رائع.. "الخبز هو شعاري المفضل عندما تسمح لي ميزانيتي بذلك"

همهمت "كلويه" وهي مبهوتة:

- إلى اللقاء.. لابد من رحيلي الآن.

صحبها "جوليان" حتى الباب، وعاد إلى الصالون وهو ثائر ولكنها لم تعره أي انتباه وقالت:

- إن "كلارا" لطيفة جدا.. وأنا آسفة أنها رحلت.

- "كلويه".. إن اسمها "كلويه" والآن اشرحي لي أسباب زيارتك.

أسندت جانبها على طرف المائدة المصقول وقالت:

- أنت لن تصدقني.

- حاولي إقناعي.

سلكت "ديبورا" حلقها وقالت:

- إن رجل الحارة السد أعطاني كلمة من أجلك.

نظر إليها وقد اتسعت عيناه على آخرهما:

- ماذا تقولين؟

- إن رجل الحارة السد...

قاطعها:

- لقد فهمت.. ولماذا كلمة؟ ولماذا قالها لك؟ وكيف قابلته؟

- ولكنه لم يشرح لي أي شيء يا عزيزي. لقد جاء إلى الملهى الذي أعمل فيه وأعطاني هذا.

ناولته ظرفا مجعدا بشكل ظاهر.

- بدون أي كلمة؟

- لا.. ببساطة قال لي الكلمة المعروفة: هكذا تمت المهمة! هل يمكنني الذهاب الآن؟

نظر "جوليان" للظرف دون أن يفتحه. كان ضيقه ضد "ديبورا" قد ذهب. لقد كان يتمنى من صميم قلبه أن تختفي، والآن يريد أن تبقى تبعها إلى مدخل الشقة وقال:

- انتظري دقيقة. ألا تريدين احتساء قهوة؟

- لا.. شكرا.. ألن تقرأ الخطاب؟

- سأقرؤه فيما بعد.

اقترب منها وقد سحرته بقربها منه وقال:

- أنا لم أكف عن التفكير فيك يا "ديبورا".

كتمت ابتسامة مسرورة وأجابت:

- هذا مؤسف بالنسبة لك.

- لا.. نعم.. لا تهزئي بي.. كل مساء وأنا في سريري أفكر بإلحاح فيك، وما يجب أن يدور بيننا، والأمر يزداد سوءا يوما بعد يوم لدرجة تمنعني من التفكير في شيء آخر، ولا العمل

صاحت بلهجة مرعوبة مصطنعة:

- أوه.. لا!

بدأ "جوليان" يقطع الغرفة ذهابا وإيابا وقال:

- أنا أحدثك بجدية يا "ديبورا".. لابد أن أنتزعك من ذهني وروحي إذا أردت أن أستمر في الحياة.

نظرت إليه بإمعان فترة ثم سألته:

- وماذا تنوي أن تتصرف حيال ذلك؟

- لست مضطرة لأن تسالني، فكل امرأة تستطيع تخمين ذلك.

لمس خدها الناعم ثم استطرد:

- مادمت موجودة هنا الليلة فلماذا لا نكمل ما لم نكمله في تلك الليلة؟

كانت تفهم تماما ما كان ينتظره منها، وأحست بألم شديد يسري في صدرها ولكنها تجاهلته. كانت آخر مرة قد صنفت "جوليان" في قائمة الرجال الذين لابد أن تهرب منهم ولكن عندما رأته أوشكت أن تفقد صوابها، ويجب عليها باي ثمن أن تتجنب حدوث ذلك. إنها لن تسمح لهذا المخلوق أن يؤثر عليها، وعليها أن تكون قوية. أخذت تكرر ذلك وقد أغمضت عينيها ولكن هناك فرقا بين النية والتنفيذ. ما إن فتحت عينيها حتى أحست بالاستسلام. كان من غير المجدي المقاومة ومن المستحيل إطفاء الفتيل المشتعل قبل أن ينفجر الديناميت.

قال لها وعيناه تلمعان بوميض رهيب:

- أنت خطيرة! إنني لا أستطيع أن أقاومك ولا الاستغناء عنك طوال حياتي.

كانت تعلم أن ذلك غير صحيح.. إن عاطفته المفاجئة هي التي تتكلم الآن ولكن ما إن يشبع رغبته، وتنتهي المغامرة العاطفية حتى... دفعته "ديبورا" بكل قوتها بعيدا عنها. رفع رأسه وسألها:

- ماذا هناك يا عزيزتي؟

خفضت "ديبورا" رأسها؛ لو رأى بريق عينيها لضاعت. همهمت بسرعة:

- إنني أسمع أصواتي الداخلية، وأعتقد أن على الإنسان أن يكون

سيد نفسه، ويرضي ضميره ليكتشف أنه إذا بنى قصرا من أوراق اللعب فإنه تكفي لمسة واحدة لينهار.

نظر إليها في حنان:

- وماذا يقول لك صوتك الداخلي؟

- إنه ينصحني أن أولي الأدبار بأسرع ما يمكن.

اقترب منها الشاب، وأمسك بذقنها ورفعه؛ ليجبرها على النظر في عينيه، وكانت عيناه السوداوان تعبران عن رغبة مؤلمة قال:

- لماذا لا تقولين له بأن يصمت؟

أجابت بضحكة مقتضبة:

- لقد حاولت ولكنه زاد إلحاحا.

غشيت عينيه السوداوين غمامة وكسا وجهه المليح قناع من الغضب والشك. لزم الصمت لفترة طويلة قبل أن يقول بصوت مليء بالكراهية:

- ما الذي تحاولين فعله؟ التأثير عليّ جسديا؟

تأملت الخط الأبيض حول شفتيه وارتجاف أنفه وقالت:

- هذه في الحقيقة غلطتي في جزء منها ولكنك أنت الذي بدأت يا "جوليان".

ضاقت عيناه وقال وقد فقد سيطرته على نفسه:

- وماذا بعد؟ لقد كنت موافقة تماما على إقامة علاقة حب بيننا.. أليس كذلك؟ ماذا تريدين؟ النقود؟

أحست بانفجار مؤلم في رأسها وصار لون حدقتي عينيها رماديا فولاذيا، وقالت وهي تنطق كل حرف على حدة:

- "جوليان هالوران"! هل تعتبرني مستهترة؟

هز "جوليان" رأسه ذا الشعر الأسود بقوة:

- لا.. أنا..

قطع كلامه ودعك رقبته في حركة عصبية قائلا:

- اللعنة! أعتقد أنك على حق. إن هذا بالضبط ما فعلته.

هبطت ثورته فجأة، وألقى على الشابة نظرة مملوءة بالندم وتأنيب

الضمير... سارع بالقول:

- أرجوك اعذريني.. لا ترحلي.. امنحيني فرصة للشرح لك.. إننا سنناقش فقط.

- لا أستطيع. أمامي استعراض، وكف عن تعذيب نفسك.. لقد سامحتك!

سوت من ملابسها وشعرها صاح:

- "ديبورا"!

ابتسمت:

- لا تقلق. لقد سبق أن تلقيت الإهانات من الآخرين مثلك، وأفضل منك. ولكني مثل كرة من الكاوتشوك.. أقفز مع كل ركلة.

كانت وهي تتكلم قد وصلت إلى الباب وتبعها وفكر في نفسه أن يدع الأمور تجري عادية. ثم لولاها لطلب يد "كلويه" للزواج، وأقسم لها بالوفاء الأبدي. إن "ديبورا" في نظره كلمة مرادفة لكلمة "المتاعب". إنه لا يمكن أن يقابلها إلا وتجتاحه رغبات عارمة يعلم أنه سيندم لو حققها. ولو سمح لها الآن بالرحيل لاستقرت حياته ولعادت حياة عادية.

سألها دون أن يدري:

- أين تعملين؟ في حالة ما إذا احتجت للاتصال بك لأعطيك الرد على المراسلة الغامضة...

فتحت الباب وهي تقول:

- في ملهى "البطة الخضراء". أنا هناك في كل مساء من الساعة العاشرة مساء.

خرجت إلى الدهليز، وسار "جوليان" بجوارها وسألها:

- أليس صندوق ليل يعرض مشاهد مثيرة.. هزت "ديبورا" رأسها موافقة ثم نظرت إلى ساعتها:

- أوه.. لا.. لا.. لقد تأخرت. إن "موراي" سيقتلني.

اندست داخل مقصورة المصعد، وانغلقت أبواب المصعد المنزلقة فجأة؛ مما أخفى عن عينيها وجه "جوليان" المندهش.

الفصل الخامس

- قولي لي يا "ديبورا"! ألم تشاهدي رباط جبهتي الحريري الوردي؟ إنني لا أستطيع العثور عليه.

ابتسمت "ديبورا" عبر المرآة ابتسامة عاطفية للمرآة الواقفة خلفها وردت:

- لا يا "مونا" أنا آسفة.

كانت "مونا" ترتدي فراء صناعيا باللون الوردي يتناسب تماما مع شعرها الأحمر المتوهج، وكان كعبا حذائها العاليان المدببان كالإبرة يجعلانها تسير وهي تتأرجح وتتماوج. إنها وهي في هذا الزي تبدو سوقية ولكن الغريب أنها كانت تبدو من طبقة راقية.

سألتها "ديبورا" وهي تشير إلى شاب رفيع وسط كومة من الملابس:

- اسألي "كيني":

- لقد فعلت ذلك وهو نفسه لم يره. ماذا سأفعل؟ إنني لن أنجح في أداء نمرتي بدون الرباط وليس أمامي سوى الاستمرار في البحث صاحت في المجموعة:

www.rewity.com مـرمـوريـة

- الم يشاهد احد رباطي؟

ركزت "ديبورا" على زينتها، وفي اعماق مراتها كانت عيناه زرقاوان تحدجانها، وبحركة مالوفة مرر القادم يده من جمجمته. همس في لكنة ساحرة:

- رباط جبينها؟ هل تعتقدين ان احدا وهي على المسرح سيهتم برباط جبينها؟

فتحت "ديبورا" عينيها على اتساعهما؛ لتستعمل بعض "المسكرة" السوداء الكثيفة. قالت معترفة:

- محتمل الا يهتم احد. ولكن "مونا" تخشى دائما ان تبدو مهملة.

- وما رايك لو حاولت إقناعها انها اكثر اناقة بدون الرباط؟

ردت عليه "ديبورا" بلهجة يشوبها الشك:

- ربما ساعدها ذلك.

اخذت تتابع عبر المراة نظرات صديقها "ارثر" الذي عبر حجرة الملابس، وذهب لينادي على "مونا".

في كل مساء تتقاسم ست نساء مقصورة الفنانين في ملهى "البطة الخضراء"، وبداخلها تسبح رائحة هي مزيج من العطور الرخيصة والطلاء، وكلما تقدمت الساعة زاد التوتر، ولم تستطع "ديبورا" أن تمنع نفسها من الاضطراب رغم أنها وجدت في دولاب الملابس كل ما يلزمها وهو امر نادر الحدوث، ولم تنج من القلق سوى "شارلين": وهي امراة عريقة في المهنة، ومن العاملات في الملاهي منذ وقت طويل، وكان دخولها على المسرح طبيعيا للغاية، وكانت جالسة امام مائدة الزينة الخاصة بها تعمل في هدوء روحاني، وتستخدم البودرة الحمراء على خديها وهي تدخن سيجارة طويلة بفم ذهبي.

قالت "مونا" وهي توشك على البكاء:

- هذا مستحيل!

ومع ذلك كان الشخص الوحيد الذي يعيدها إلى عقلها هو "ارثر" كانت "ديبورا" قد التقت بـ"ارثر" منذ ستة أشهر في مطعم وجبات

خفيفة على بعد خطوتين من ملهى "البطة الخضراء". بعد ذلك كان ياتي لمشاهدة كل استعراضات "ديبورا"، وقد تعودا على احتساء كاس من المشروب المقوي على الاقل مرة في الاسبوع. وكان "ارثر" يتميز بروح فكاهة خاصة تجعلها تضحك بصوت مرتفع. وكانت تعتبره كاعز صديق لها رغم الفرق بين عمريهما، والذي لم تفكر فيه ابدا. والحقيقة انها لا تعرف حقيقة سنه. إنه يدعي انه يفضل لو سقط ميتا في الطريق، ولا يبوح بسنه الحقيقية.

قال لها بصوت منخفض:

- لقد قررت "مونا" أن تستبدل الرباط بشريط وردي.

طوح ذراعيه بطريقة مضحكة. ابتسمت "ديبورا":

- هذا لا يدهشني. الم اقل لك إن "مونا" تنقصها الصلابة؟

همس "ارثر":

- حسنا فعلت. ما هي الاخبار؟ هل عثرت على وظيفة اخرى؟

هزت راسها ثم قالت لمحدثها وهي تنظر إليه بإمعان خلال المراة:

- لا.. وبالمناسبة ما الذي دفعك إلى ان تطلب مني ان اقوم ببيع مكانس شفاطة في "ساندلي"؟ إن تلك المدينة مهجورة خاصة في الخامسة بعد الظهر.

- لابد انك أسات الفهم.

دارت على مقعدها لتواجهه:

- "ارثر"! لقد قلت لي، واكرر كلماتك بالضبط:

"هيا إذن قومي بجولة في "مارلبورو" في بلدة "ساندلي" يوم الاربعاء في الخامسة بعد الظهر.

- انا.. هل قلت هذا؟ هذا ممكن ولكن

ضاقت عينا "ديبورا":

- لقد اعتبرت نصيحتك غريبة. ما الذي تعرفه عن البيع من باب لباب؟

- اثناء تجوالي ورحلاتي يحدث أن أجني معلومات. إنني اترك اذني

تستمع اسماء اشياء هنا وهناك.

كررت كلامه الاخير وهي شاردة:

- من هنا وهناك..

- فعلا.. وبإحدى ضربات الحظ فاجات في مطعم إيطالي حديثا بين مندوبي بيع تجاري، وكان الرجلان يعارض كل منهما الآخر على طول الخط ولكنهما لم يتفقا إلا على موضوع واحد: لا يوجد مكان يصلح لبيع المكانس الشفاطة سوى "مارلبورو".

القت برأسها للخلف، وحدجت محدثها بنظرة شك وريبة وسالته:

- يوم الاربعاء.. وفي الخامسة بعد الظهر؟

- لا.. ولكني كنت في صغري مغرما بالإحصاءات.

- وماذا في ذلك؟

- وحسب الأرقام ودلالاتها كان من المفروض أن تفعلي سوءا.

- إن أرقامك لا قيمة لها، ويجب مراجعة نظرياتك.

- لا يهم.. إن لهفتي على الإحصاءات قد بدات تتضاءل.

همهمت وهي تستدير ثانية نحو المرآة:

- كان من الواجب أن يحدث ذلك من قبل.. لقد انتهت وظيفتي كمماثلة مبيعات.

- اوه.. إن فتاة ذكية مثلك من السهل أن تجد شيئا آخر، وآلاف الوظائف في انتظارك..

- ومع ذلك حالتي في الحضيض، وهنا لا أربح ما يكفي...

قال لها بحماس:

- كل شيء سينتهي إلى الحل. إن المال لا يصنع السعادة ولكنك لم تقولي لي: هل هناك مغامرة عاطفية الآن؟

حدجته بنظرة غيظ وقالت:

- "ارثر"! كف عن محاولة تقديمي إلى ابن أختك الصاعد.

- انت عنيدة وتنقصك الموضوعية. لو خرجت مع ابن أختي فكري في عدد الوجبات التي لن تدفعي ثمنها.

انقلبت سحنة "ديبورا" ثم وضعت يديها على كتفي "ارثر" الهزيلتين:

- انت حبوب، وانا اقدر لك مجهوداتك ولكن اذكر لي سببا واحدا يجعل شابا مرموقا وديناميكيا يهتم بي.

- أستطيع أن أذكر لك عشرة أسباب.

قطبت حاجبيها وقالت:

- انس الأمر. في الحقيقة إن روح الموظف لا تعجبني

- وماذا تعيبين على الموظفين؟

- إنهم أشخاص مملون للغاية! إنهم يقضون معظم اوقاتهم في محاولة إثبات أنهم لا يمكن استبدالهم أو الاستغناء عنهم. لا.. ليس هناك أي شيء مشترك بيني وبين ابن أختك. ثم...

أشرقت ابتسامة الانتصار على شفتيها:

- إنني أحب التورتة بالزبدة اكثر فاكثر.

أخذ يتاملها فترة ثم قال:

- انت تخشين الارتباط برجل ياخذ الدنيا ماخذ الجد: ولهذا لا تصاحبين إلا المخبولين.

انت تعرف جيدا أن هذا غير صحيح. ولكني لن أصر: فإن الأمور تنتهي بأن تنصلح من تلقائها.

شملته بنظرة مرتابة وقالت:

- انا لا اثق بك. ماذا تدبر ايضا؟

- لا تكوني مملة ومسببة للضيق!

طبع قبلة حانية على خدها.

- حظا سعيدا يا عزيزتي. ساكون عند مائدتي المعتادة.

شاهدته وهو يخرج ضاحكا. كان "ارثر" رجلا عجوزا جذابا لا يريد سوى سعادتها. فقط هما لا يشتركان في وجهة نظر واحدة حول العالم.

وعدت "ديبورا" نفسها أن تجد وسيلة إقناع "ارثر" لا يمكن ان يدحضها بأن ابن أخته لا يمثل السعادة.. رجل مثل "جوليان".

جاءت الفكرة مفاجئة فتخشب جسد "ديبورا" وها هو الآن يعود مرة

ثانية.

منذ النهار إلى المساء كان "جوليان هالوران" يغزو ذهنها، ولقاؤهما الأخير لايزال يطاردها لدرجة لا تطاق تقلصت قبضتاها وهزت ذقنها. إنها لن تدع غريبا عنها تماما يقلب وجودها رأسا على عقب كان الجزء السليم من عقلها يملي عليها أن عليها أن تنساه باي ثمن، وبحركة تصميم شدت شعرها الناعم ثم لفته في كعكة دستها تحت قلنسوتها الزرقاء التي تكمل طاقم ملابسها.

- "ديبورا".. "ديبورا".. هل يمكنني الحديث معك؟

أدارت رأسها نحو الصبي اللاهث الذي جاء نحوها وقالت:

- نعم.. طبعا يا "كيني".

أسندت كوعيها على سطح التسريحة، ونظرت إليه في قلق ثم سألته:

- كيف تسير دروس الخطابة؟

- ممتازة... أعتقد... أن .. السيد.. السيد "ميشنر" يؤكد أنني حققت تقدما... و.. ولكن.. هذا لا قيمة.. له... إنني لا أستطيع التحسن...

- لا تستسلم بشكل خاص يا "كيني" ثق بنفسك.

- أنا.. أنا أحاول.. أحيانا.. وأحيانا.. أنجح.. أنت.

قطع كلامه المتلعثم ونظر في خجل إليها خلال زجاج نظارته الطبية السميك.

ربتت "ديبورا" على كتفه قائلة:

- حسنا.. في يوم ما ستكف عن التأتأة تماما.

- هل تظنين ذلك حقا؟

- إنني مؤمنة بذلك تماما ولقد سبق أن حكيت لك كيف أنني عندما كنت في سنك أسوأ منك، وإذا كنت نجحت فأنت أيضا ستنجح.

هز "كيني" رأسه:

- هذا.. هذا بالضبط.. ما أقوله.. لنعش دائما.

حافظت على ألا تضحك أو تخدعه. لقد كان "كيني" في حاجة إلى الاعتقاد أن مثله الأعلى نجمة ساطعة.

قالت له مؤكدة في مرح:

- ستصبح نجما دون شك، وما إن تتخلص من عيبك فإن كل صائدي المواهب سيتصارعون على بابك، وعندما تصبح غنيا وشهيرا فإنك ستشتري قصر "سيزار" من نقودك الخاصة.

انفجر ضاحكا وقد بدا مسرورا لتنبؤاته. راقبته "ديبورا" وهو يبتعد: كان "كيني" يود لو يضحك، وأن يحس بالاطمئنان، وهي نفسها تتذكر تماما ما يحسه المرء عندما لا يكون له صديق في الدنيا.. شخص يمسك بيده عندما تصبح الأمور سيئة. إن نقص المال لا يعد شيئا بالمقارنة بالوحدة التي عرفتها.

قالت سمراء فاتنة بصوت ممطوط وهي ترى الصبي:

- "كيني" كن حبوبا.. واعثر لي على وشاحي الفرو الأبيض.

أخذ الصبي يبحث وسط الدولاب العام، واكتشف وهو يشعر بالفخر الوشاح الفرو الأبيض الذي على شكل ثعبان الأصلة. قبلته السمراء في رقة على خده، وتحول لون وجه "كيني" الشاحب إلى اللون الأرجواني. أخرج منديلا من جيب سترته، وبدأ يصقل زجاج نظارته السميك بحيوية.

أطلقت "ديبورا" زفرة. إنها تحب زملاءها جدا وقد جرى اتفاق صامت بين الفتيات على مساعدة "كيني" في استعادة ثقته بنفسه. استرخت على مقعدها وهي تتساءل ماذا يمكن أن تصبح حياتها لو اختارت شيئا آخر غير خشبة المسرح؟ بلاشك كان من المحتمل أن تتزوج من شاب طيب، وترزق بمجموعة من الأطفال. ثم عدلت في ذهنها تلك الصورة.. ربما كانت قد انضمت إلى دورة في الآلة الكاتبة، وحصلت على وظيفة سكرتيرة مدير وانتهى بها الأمر إلى اغتيال رئيسها!

إن "ديبورا" لا تحب رجال الأعمال من نوع ابن أخت "أرثر" أو مثل "جوليان هالوران".. اللعنة.. أمام أقل ضعف في انتباهها وحذرها فإن هذا المخلوق سيندس بسرعة في أفكارها. طردت في عناد ذلك الوجه الجميل حاد الزوايا من ذهنها، وتناولت أصبع أحمر الشفاه ومررته

على شفتيها. فجاة اتسعت عيناها بلا حدود.. إن موضوع افكارها ينعكس اكثر وضوحا من الطبيعة على سطح المراة.. تجهم وجه "ديبورا" في الحال وكان ثعبانا عقرها، ووبخت نفسها ثم سالته:

- ما الذي تفعله هنا؟

توقفت نظرات الزائر لحظة على مخلوق من دخان يرتدي مايوها "بكيني" احمر بلون الكريز وحمالة صدر سوداء. ثم احتك بساقي "شارلين" الطويلتين المغطاتين بجورب نايلون اسود ثم بـ"كاندي" وهي شقراء سمينة ترتدي جوربا قصيرا واخيرا حدج "ديبورا" بإمعان، ولاحظ لثانية واحدة ثوبها الفاضح الضيق المكون من بنطلونها الساتان الابيض والـ"تي شيرت" بلون ازرق نحاسي.

سالها بلهجة مكتومة:

- هل تحبين حقا ما تفعلينه؟

- من الافضل ان تسالني إن كنت احب ان اتنفس؟ انا افعل هذا العمل بطريقة طبيعية. إن مهنتي جزء لا يتجزأ من شخصيتي. الا تحس بنفس العاطفة نحو عملك؟

هز راسه ببطء وأجاب:

- نعم ولكن لم افكر ابدا في اعتبار ما تفعلينه عملا جادا.

اشار إلى الحجرة بحركة كبيرة من يده وسالها:

- الا يضايقك هذا؟

- ما هو؟

- كل هؤلاء الناس الذين يحملقون فيك كل مساء.

قهقهت وقالت:

- انا فوق المسرح من اجل ان يحملق الناس فيّ، وإذا لم يحملق فيّ شخص لغيرت مهنتي.

صمتت فترة ثم استطردت:

- ثم إنني لست خجولا.

- لقد لاحظت ذلك. ولكن مع ذلك..

- حدد افكارك.

هز كتفيه وقد بدا عليه الضيق. قالت "ديبورا":

- اسمع! إذا لم يعجبك هذا المكان يمكنك ان تشرح لي لماذا انت فيه، وكلما اسرعت في الكلام غادرته أسرع.

ارتبك ودعك عنقه كعادته عندما يحس بالتشويش.

- لا دخل للمكان بذلك ومع ذلك تبدين لي...

انقطع صوته فقالت:

- استمر.

- لا شيء.. الا تخشين ان تصابي بالبرد؟

رفعت "ديبورا" يدها ببطء لفمها لتكتم ضحكة:

- أوه يا "جوليان" كم تبدو احيانا مثيرا للضحك.

زمجر:

- كيف؟

حدجته بعينيها الرماديتين الواسعتين:

- حسنا... آخر مرة رايتني فيها اعتبرتني متحررة، واليوم ظننت انني راقصة الإثارة انت مخطئ للمرة الثانية. انا ممثلة..

نظر إليها وهو صامت. تجهمت "ديبورا" وقالت:

- على اية حال لو كنت راقصة إثارة لكنت احسنهن، ولما سمحت لاي شخص ان يهينني او يحتقرني بسبب عملي.

- هل تفهميني يا "ديبورا"! انا لا افكر ابدا في إهانتك، ولا احتقارك على الإطلاق اما بالنسبة لمساء امس فانا حانق على نفسي لدرجة الموت لما قلته، وليس عندي اي عذر.

بدا صادقا واستقرت عيناه على وجهها؛ فارتجفت وكانه لمسها. اجابته بجفاء وهي تشيح عنه بعينيها بعيدا عن عينيه اللتين تلتهمانها:

- لقد سبق ان اعتذرت، ومن غير المجدي ان تنتقل كل هذه المسافة لتجديد اعتذراك ما لم يكن الدافع لزيارتك مختلفا.

www.rewity.com مـرمـوريـة

- إن الكلمة التي سلمتها لي أمس مساء تحتوي على تعليمات حول الطريقة التي أستطيع بها استعادة الملف الذي سرق مني.

- لا أفهم فيم يخصني هذا الأمر؟

أطلق زفرة:

- إن كاتب الرسالة اعتقد جيدا أنه حدد تماما أن الأوراق لن تعود إليّ.. إلا إذا كنت معي.

اتسعت عيناها دهشة:

- كيف يكون هذا ممكنا؟ لماذا يورطوني في هذا الموضوع؟ إننا لم نلتق إلا من أسبوع فقط!

ألقت نظرة على ساعة الحائط ففزعت خلال دقائق لابد أن تكون فوق المسرح. التفتت نحو محدثها قالت في هدوء:

- هذا مستحيل.. لابد أن أحدهم يتسلى بك.

خرج "جوليان" وراءها من حجرة الملابس وقال:

- هذه ليست خدعة.. إنني أؤكد لك.. لم تعد تستمع إليه: فكل انتباهها أصبح الآن مركزا على العرض وعلى الكلمات التي ستلقيها خلال ثلاثين ثانية. عبرت الكواليس- وهي الجزء الخلفي من المسرح- وهي مرعوبة لدرجة الموت، ولديها إحساس مألوف أن قبضة شديدة أمسكت بمعدتها بينما أراد قلبها أن يقفز من صدرها.

أعلن مقدم البرنامج بصوت يهتز حماسا:

- لقد جاءت.. عادت بعد ظهورها الصاعق في "لاس فيجاس" سيداتي! آنساتي! سادتي! هي ذي التي دائما ما تدهشكم.. الرائعة "ديبورا تيرنر"!

صعدت على المسرح الصغير للملهى وقد فردت ذراعيها، وتلقت الأنوار المبهرة القوية الصادرة عن الكشافات الكهربائية العاكسة في وجهها مباشرة مع تأثير حملقة الجمهور القابع في القاعة.

ظل "جوليان" واقفا بجوار المسرح، وبعد لحظات نسي كل أحزانه مع "ديبورا" والتي غزت القاعة بتمثيلها.

جلست الشابة على مقعد عال بدون ظهر وقد أمسكت قدح شاي في يدها وأصبعها الخنصر في الهواء وهي تجري محادثة مع صديقة وهمية، وأخذت توجه نقدا لاذعا للطبقة البرجوازية، ومدى نذالتها، وكانت تعليقاتها تنتزع عاصفة من الضحك. غادرت المسرح وسط سحابة من الدخان الملون الليزر، وعاصفة مدوية من التصفيق.

ناولتها "مونا" أثناء مرورها منشفة وقالت:

- حسنا! يا بطة! لقد أحرزت نصرا كالعادة.

أجابت "ديبورا" وهي تجفف جبينها:

- شكرا يا "مونا".

ثم أضافت وصديقتها تتقدم نحو الأضواء:

- حظا سعيدا يا "مونا"!

في هذه اللحظة لمحت "جوليان" وقالت دون أن تخفي دهشتها:

- ألازلت هنا؟

رق الوجه حاد الزوايا وقال مؤكدا:

- لقد كنت رائعة!

أضاءت ابتسامة وجهه القاسي ثم قال:

- ثم هل فعلا مثلت في "لاس فيجاس"؟

- إنها مزحة قديمة. لقد عملت كخادمة في مطعم في شارع "لاس فيجاس" وليس بمدينة "لاس فيجاس" وفي أول لحظة لظهوري بعد توقيع عقدي للعمل بذلك المطعم حطمت ستة أكواب في وقت واحد، وهذا هو العرض المذهل على المسرح.

كانت "مونا" قد وصلت إلى منتصف عرضها همس "جوليان":

- إنها لا ترتدي سوى اللون الوردي؟

- إن هذا اللون يجعل "مونا" تحتل الأفكار والآن دعني أمر من فضلك.

أمسك برسغها ثم قال:

- لا.. يجب أن نتكلم معا.

أحست بدبيب النمل يسري في ذراعها:

www.rewity.com

- ما الذي تريده مني؟

- يجب أن تأتي معي غدا. أنا في حاجة إليك يا "ديبورا".

- لا.

زاد ضغط أصابعه على رسغها فارتجفت: إن هذا الرجل خطر عام، لا شك أنه يريد أن يقيس مدى سيطرته عليها. قالت مرة ثانية:

- لا.. لا مجال للنقاش.

أمسك بذراعها بطريقة ساحرة.. لو أرادت للعقل أن ينتصر لكان عليها أن تأخذ ذيلها في أسنانها وتطير؛ أحست بالارتباك والتشويش، وخلصت ذراعها من قبضته واندست في الدهليز المطلي باللاكيه الأزرق والمؤدي إلى مقصورة الفنانين وهي تكرر:

- لا.. لا أستطيع.

صاح مطاردها من وراء ظهرها:

- الأحرى أن تقولي إنك لا تريدين.

همست من وراء كتفها:

- حسنا جدا.. أنا لا أريد! لماذا لا تطلب من "كلوديا" أن تصحبك؟

صحح الاسم بطريقة آلية:

- اسمها "كلويه". إنها لم تعد ترغب في ذلك. هي الأخرى. ثم إنه في الخطاب فقد تحدد أنه أنت بالذات التي يجب أن تصحبيني!

- سأفكر في الأمر ومر عليّ بعد ثمانية أيام.

سارعت في خطواتها ولكنه لحق بها في اللحظة التي وصلت فيها إلى باب حجرة الملابس:

- انسي كل ما حدث يا "ديبورا". لقد كنت أحمق بالأمس.

- أنت تعيد كل شيء إلى مساء أمس.

- أعدك أن هذا لن يحدث بعد الآن... على الإطلاق لقد تصرفت بوضاعة؛ لأنني فقدت صوابي.

كفت عن السير واستدارت نحوه قائلة:

- نحن نفقد صوابنا في كل مرة نلتقي فيها.. إن هذا أمر يثير القلق في ذلك.. أليس كذلك؟

- هذه المرة أعرض عليك مشاركة مهنية بحتة وأعدك بذلك!

- سنرى ذلك.

عادت إلى السير، وعلى عتبة مقصورة الفنانين حدجت الرجل الذي لايزال يتبعها بنظرة حادة. لاحظت أن وجهه لايزال قلقا. ثم رأت أنه ضعيف وهش، وأحست برغبة مفاجئة أن تضحك وأن تراه يضحك هو أيضا.

قالت في نفسها: ولم لا؟ وانخرطت في معركة داخلية لابد ألا تستغرق استعادته للأوراق وقتا طويلا. افترت شفتاها عن ابتسامة، وأجبرتها صراحتها وأمانتها الطبيعية على الاعتراف بأنه لسبب ما لا تعرفه تجد رغبة شديدة في مصاحبة "جوليان".

حاولت قدر المستطاع أن تثبت على وجهها الصغير تعبيرا يدل على عدم الاكتراث وقالت:

- على أية حال.. هل قلت: إنها مشاركة مهنية بحتة؟

رد عليها بابتسامة مرحة وقد بدا عليه الارتياح:

- كلمة شرف.. إنني أريد فقط استرداد المستندات ثم..

قاطعته وقد انتابتها هواجس جديدة:

- لحظة من فضلك! لقد تعمدت ألا تخبرني إلى أين سنذهب.

- أوه.. حسنا...

سكت في تردد فحدجته "ديبورا" بإلحاح وقالت:

- ومع ذلك لابد أن تخبرني.

بدت عليه امتعاضة الخيبة وقال:

- حسب التعليمات لابد أن أذهب إلى "سان جوزيه" نطق الاسم الأخير في تقزز؛ فقالت بصوت ممطوط:

- يا "جوليان" يا مسكين!

- إن وسيطي سيتصل بي هناك إذا ما نفذت كل الشروط. وهذا يعني بوضوح أن تكوني معي.

هزت رأسها:

- يا لها من حكاية غريبة!

- لا يهم. أنا أريد تلك الأوراق اللعينة، وسأحصل عليها حتى لو

اضطررت للذهاب إلى "سان جوزيه" بواسطة قبقاب التزحلق.

- إن مظهر الشهداء الذي تبدو عليه يجعلني أفكر أنك يمكن أن تفعل ذلك.

ابتسم ومرر ذراعه حول كتفيها.

- لو عرفت خالي "شارلي" لعلمت أن أي شيء معه ممكن الحدوث. إن له روح فكاهة غريبة جدا.

- خالك؟

كانا قد دخلا المقصورة الخالية من الفنانين، وأخذت عينا "جوليان" تفحصان وجه الشابة الصغير الحيوي ثم قال:

- سأشرح لك كل شيء غدا في الطريق. سيكون أمامنا الوقت الكافي للثرثرة في هدوء.

- إن "سان جوزيه" على بعد ثلاثمائة وخمسين كيلو مترا من هنا.. أليس كذلك؟

ثم أخذت تحسب في ذهنها بصوت مسموع:

- ثلاثمائة وخمسون في الذهاب ومثلها في العودة حسنا.. أستطيع أن أصل في موعد عرض نمرتي في منتصف الليل.

ابتسمت ابتسامة ماكرة ومدت له يدها:

- اتفقنا يا "هالوران".. انا رجلك!

الفصل السادس

استند "جوليان" على عتبة ضخمة من الاسمنت المسلح وهو يتأمل الجمهور المتعارك. كان هناك كل أنواع البشر من ضخم، ونحيف، وقصير وقد بدوا أنهم تواعدوا على اللقاء في محطة القطار عند رصيف الركوب ولكنه لم يشاهد في أي مكان المرأة الصغيرة ذات الشعر الفاحم وفم العروسة.

نظر إلى ساعته للمرة الألف وهو يقول في نفسه إنه أخطأ عندما لم يمر لاصطحابها بالسيارة من بيتها، وكان من الواجب عليه أن يؤكد موعد سفرهما بالتليفون، وكان عليه أن.. لماذا إذن ارتبط بممثلة؟ أين ذهبت بحق السماء؟

أخذت نظراته تتوغل بعمق وهدوء وبطء وسط تلك الفوضى العارمة، وهو يراقب بعناية المدخل الرئيسي الذي لابد أن تمر منه جموع المسافرين. مر من أمامه بجوار الجدار رجل ياباني وقد حمل حقيبة أوراق يتبعه رجل ضخم له لحية طويلة، وانتهى الرهط برجل يرتدي قبعة كنسية. قطب "جوليان" جبينه خرج الياباني والرجل الهيبي من مجال رؤيته بينما استندت المرأة ذات القبعة الغريبة التي ظنها في

www.rewity.com مـرمـوريـة

البداية رجل دين.. استندت على الجدار وقد بدت منهمكة في قراءة الجريدة التي رفعتها أمام وجهها لتخفيه. أخذ يفحصها بعناية. مر جمع من المشاة أخفى موضوع فحصه عن نظره لحظات، وعندما ابتعدت علت شفتي "جوليان" ابتسامة عريضة. قال في نفسه: إنها "ديبورا".. أوه لا.. لا يمكن أن تفعل فيه ذلك!

هبطت الجريدة ببطء، وكشفت عن نظارة شمسية ضخمة لونها أخضر فاقع على شكل قلب بينما أفلتت بعض الخصلات السوداء من غطاء الرأس الذي أنزلت حافته حتى حاجبيها مثلما يحدث في أفلام الجاسوسية من الدرجة الثالثة. ثم ارتفعت الجريدة ثانية بسرعة. كتم "جوليان" زفرة وشق طريقه ناحية "ديبورا" وسط مجموعة من السياح الصاخبين.

عندما وصل إلى مكانها أطلق همهمة متبرمة:

- بحق السماء.. إلى ماذا تهدفين بهذا الزي التنكري؟

ألقت برأسها للخلف؛ مما أتاح لها أن ترى "جوليان" من تحت حافة القبعة.

- ماذا تعني بالزي التنكري؟ إنني أرتدي ملابس آخر صيحة.

قال لها في برود وهو يسحبها إلى الرصيف:

- إنك تبدين وكأنه في فيلم من أفلام "همفري بوجارت" كان من المفروض أن ترتدي شيئا غير فاقع هكذا.

خفضت أنظارها نحو بنطلونها بلون الأحمر الفوشيا المنقوش بأوراق النعناع وفردتي صندلها غير المتشابهتين إحداهما وردية، والأخرى خضراء ثم رفعت حاجبها وقالت:

- هذه بالضبط أكثر أزيائي قناعة ورضا.

ساعد "جوليان" "ديبورا" على الركوب في العربة.

- إن الخطاب يؤكد ضرورة سفرنا في مقصورة خاصة.. على الأقل سنهرب من العيون الفضولية.

- هل تشعر بالخجل مني؟

- ولكن لا!

أخذت تفحصه فترة ثم قالت:

- يا سيد "هالوران".. أنت رجل معقد!

دفعها داخل دهليز" القطار وقد بدت عليه امتعاضة الضيق. لم يجرؤ إنسان من قبل أن ينطق بمثل هذا النقد أمامه، وفكر في المجاملات التي تنهال عليه نتيجة علاقاته. زجرها قائلا:

- أنت تعودت على المسرح أما أنا فلا.

بدا عليها الغضب المصطنع فقال:

- أنا لا أريد أن أغضبك ولكنه مجرد تقرير واقع.

فجأة انفجرت الشابة في ضحك ماكر وخبيث فقال:

- والأدهى وأمر أنني أجعلك تضحكين.

عضت شفتها السفلى وقالت:

- أحيانا أستطيع أن أقرأ أفكارك من ملامحك.

سكتت فترة ثم رفعت نحوه عينيها اللامعتين:

- مثل الآن.. مثلا.

- وحسب رأيك ماذا أفكر؟

- أنت في ذهنك تود أن أذهب إلى الجحيم.

- منتهى الذكاء والفطنة والمكر.

وصلا إلى مقصورتهما وقامت "ديبورا" بفحصها، وتحمست أمام دورة المياة الصغيرة. نظر إليها ونسي كم هي تضايقه. مع وجود هذه المرأة تحدث نفس الظاهرة: تنتابه رغبة في أن يخنقها، وأن يأخذها بين ذراعيه في آن واحد. على الأقل إنه لا يحس أبدا بالملل معها. قالت معلقة:

— إنني أتخيل أننا في أحد أفلام "هتشكوك" البوليسية بالأبيض والأسود، ولا ينقصنا سوى جثة في الدولاب.

- اصمتي! أنت قادرة على اكتشاف جثة.

أطلق القطار صفيرا ثم بدأ ينزلق برقة خارج المحطة. أشار "جوليان" لـ"ديبورا" أن تنضم إليه على الأريكة المنجدة. نظرت إليه خلسة. لم تكن مخطئة عندما قالت لنفسها من أسبوع إنهما لا يعرف أي منهما الآخر. إنه لا يعرف عنها شيئا.. لا شيء سوى أنه يرغبها بوحشية وأنه يود لو يفرض عليها حمايته، وكان إدراكها لهذه الحقيقة قد جعلها تشعر

بالحيرة والتشويش.

سألها فجأة:

- متى اتخذت قرار أن تصبحي ممثلة؟

ابتسمت وقالت:

- كنت قد سجلت اسمي في المدرسة، وقد وجدت نفسي دميمة؛ فقد كان وزني يزيد عشرة كيلو جرامات عن الوزن الصحيح، وكان الناس لا يلاحظون ذلك؛ لأنني كنت أضحك الجميع.

نظرت إلى البراري عبر نافذة القطار، وكذلك حقول الخضراوات، والتي كانت تمر أمام عينيها:

- لقد كنت أكثر واحدة مضحكة وغريبة في الفصل، واستطعت أن أهزم ملكة جمال المدرسة في الشهرة.

- إذن أنت تحبين جذب انتباه الآخرين عن طريق إضحاكهم.

هزت كتفيها بلا اكتراث ثم تقوقعت في ركن الأريكة وقالت:

- ليس الأمر بهذه السهولة. نحن جميعا نحب أن نسعد. لنقل إنني أخذت الطريقة التي تناسبني أكثر.

غادرت عيناها بلون العنبر زجاج النافذة ثم ركزتهما على رفيقها وسألته:

- هل أنت من هواة التحليل النفسي؟

- أنت تحيرينني يا "ديبورا". وحسب ما قلته أنت تعانين عقدة عميقة من عدم الشعور بالأمان، ولكن بدلا من أن تبحثي بداخلك عن مصدر هذه العقدة فأنت تعوضينها عن طريق جذب انتباه الآخرين إليك.

ردت عليه وهي تضحك:

- شكرا يا دكتور "فرويد". لقد وفرت عليّ سنوات طويلة ومؤلمة من التحليل النفسي قد تكلفني ثروة.

خلعت قبعتها دون إدراك منها لما تفعله. أخذ "جوليان" يتأمل شلال شعرها الغزير الذي انسدل على كتفيها وعلى ظهرها.

مال نحوها وأمسك بخصلة ناعمة ولامعة بين أصابعه وسألها:

- هل كانت لديك اهتمامات أخرى في المدرسة؟ هل كنت تحبين العلوم مثلا أو الشعر؟

- لقد كنت موهوبة في الفنون

فكرت لحظات ثم أضافت:

- لقد كنت عضوا في فريق كرة السلة.

نظر إليها نظرة شك وقال:

- لا يمكن أن تكوني جادة.

- أؤكد لك ذلك.. لقد كنت موهوبة ولكنني اضطررت لتركها.

- إنني أتساءل لماذا؟

- بسبب طول زميلاتي في الفريق. لقد كن أطول مني بكثير.

أحس بالنشوة من رائحة عطر السوسن الخاص بها وسألها:

- وماذا فعلت بعد ذلك؟

التقت عيونهما وابتلعت "ديبورا" ريقها بصعوبة. لم تكن تدرك كم كانا متقاربين. قالت بصوت مخنوق:

- لقد استبدلت الموسيقى بالموسيقى الشعبية. همهم:

- أوه.. بداية أخرى جديدة باختصار.

كانت الكلمات قد فقدت معناها، وجرى الحديث بطريقة لا معنى لها وإن سرى تيار عاطفي قوي بينهما. ضحكت "ديبورا" ضحكة عصبية ثم قالت:

- لقد انضممت حتى إلى فريق رعاة بقر. كنت أعزف الطبلة بينما يعزفون مع الجيتار والبونجو.

سألها بلهجة شاردة:

- وهل عثرت على سعادتك؟

لم يدرك مدى قربه منها فانكمشت على نفسها وقد أحست بالاضطراب، وبعد لحظة نظر إليها نظرة متسائلة سألته:

- ماذا تقول؟

- لقد سألتك إن كنت قد عثرت على سعادتك مع فرقة رعاة البقر؟

- لقد فقدتهم في "كنساس".

أشعل سيجارة لمجرد أن يشغل يديه ثم أطلق سحابة من الدخان الأزرق وسألها:

- وماذا عن والديك؟

تصلب جسدها داخليا وكررت:

- ماذا.. والداي؟

- هل شجعاك على سلوك طريق اخر أم إنهما وافقا ببساطة على عملك كممثلة؟

نظرت عبر النافذة وقد تقلصت اصابعها ثم قالت له بدلا من الإجابة:

- كل بدوره. حدثني عنك. عن طفولتك. هل كنت صبيا صغيرا عاقلا أم مزعجا؟

- الأحرى كنت مزعجا ولكني لم أكن خبيثا.. مثل "جوني" بعض الشيء.

- وكيف تحولت إلى نموذج ديناميكي من النوع الممتاز؟

بدا عليه الغضب ثم كتمت ابتسامتها:

- لقد كبرت ببساطة. مثل كل الناس العاديين.

- يا إلهي! ما هذه المتاعب! أنت شاب ناضج وفعال.. كيف حدث أن تورطت في هذه الحكاية التي لا رأس لها ولا ذنب في الحواري المظلمة والخطابات الغامضة؟

رفع يده في حركة تصميم وقال:

- إنه الخال "شارلي".

- خالك؟

- نعم.. صاحب الأصفاد الشهيرة. إنه متحمس كلية أن يجعلني أغير حياتي. إنني في نظره اهتم أكثر من اللازم بعملي.

- فهمت.

- إنه لم يجد وسيلة سوى أن يختلس ملفا من ملفاتي المهمة من مكتبي وبه أوراق لا تخصني. ثم إنني لا أفهم المعنى الحقيقي لهذه الحكاية الخرافية، وما هي الطريقة التي سيجبرني بها أن أغير حياتي كما يريد هو؟ لم أعد أعرف شيئا. إن هذا العجوز الأحمق سينتهي بي إلى أن أفقد مكاني لا.. إن كل هذا لا معنى له.

- إن الأمر مسل في مجمله.. احب أن أعرف الخال "شارلي" إنه يعجبني فعلا.

- أما أنا فإنه يثير قلقي: لقد كان رجل شرطة لأكثر من ثلاثين عاما.

لقد كان بطل التخفي في إدارة التحريات بشرطة "لوس انجيلوس" ومنذ أن أحيل إلى التقاعد فإن تصرفاته أصبحت مزعجة فقط لو عاشت العمة "كاري" ما فعل "شارلي" ذلك.

احتجت قائلة:

- أنت ظالم له. أنت تظن انه مجنون لأنه يريد حياة أفضل لك.

- حياة أفضل حسب معاييره! إن من حقي اختيار طريقة وجودي.. أليس كذلك؟

تخلصت "ديبورا" من صندلها ووضعت ساقيها تحتها وسألته:

- ما هي صلاتك بخالك؟

- حارة للغاية.. لقد كنا دائما متقاربين جدا.

- إذن هو يعرفك، ويتصرف من واقع حبه.

- هذا لن يغير من الأمر شيئا.. إنه معرض للسجن.

- هذا سبب أجدى.. فمفتش الشرطة القديم يعرف القانون أكثر من غيره.

- وماذا بعد؟ ما هي النتائج التي وصلت إليها؟

ران الصمت، وزاد الوجه حاد الملامح قتامة، وبعد فترة سحق "جوليان" سيجارته بعنف وغضب في الطفاية ثم نهض مرة واحدة.. وقال:

- هيا نذهب لناكل شيئا.. هل تريدين؟

كانت عربة المطعم بالقطار شبه خالية في تلك الساعة من النهار. سرعان ما جلسا وقدم لهما الطعام. ابتسمت "ديبورا" ابتسامة شاردة لقس ذي لحية طويلة كان جالسا على المائدة المجاورة ثم تجولت بنظراتها الغامضة في بقية المسافرين. همست وهي تميل إلى الأمام وهي تميل برأسها خفيفا ناحية اليمين:

- الزوجان هناك!

استدار "جوليان"، وشاهد زوجين في سن متوسطة يتناولان الطعام في صمت. سألها في دهشة:

- وماذا بهما؟

- لنحاول أن نخمن من يكون كل منهما بالنسبة للآخر: أهما زوج

www.rewity.com

وزوجة؟ أخ وأخت؟ عاشقان؟

- وكيف لي أن أعرف؟ أنا لم أرهما أبدا في حياتي.

هزت رأسها ثم محت شفتيها وقالت:

- يا لنقص خيالك! انظر إلى ثوب السيدة.

سألها "جوليان" وقد بدأت اللعبة تثير اهتمامه.

- وماذا به؟

أخذت "ديبورا" تمضغ البطاطس المقلية:

- ربما ليس موديلا من عند "كريستيان ديور" الشهير ولكنه جديد.. لقد بدأت السيدة حركة تجديد. أما بالنسبة لوشاحها الأحمر فإنه يقول الكثير عن وضعها.

- أنا لا أفهم شيئا مما تحكينه.

- ولكنه واضح وضوح الشمس! إنها تحاول إغراء السيد، ومن الواضح أنها كانت تفضل لو أنه نظر إليها وتأملها بدلا من أن يدس أنفه في طبقه.

ضحك فمالت برأسها جانبا وأعلنت أخيرا:

- إنه رب العمل.

كانت قناعتها مؤثرة. سألته:

- ما رأيك في هذا؟

- مسلكهما.. هو شارد متباعد وهي مهتمة.

نهض الثنائي وغادرا مائدتهما، وعند وصولهما إلى مستوى "جوليان" قال الرجل:

- ذكريني يا "مارثا" بأن أتصل بشركة تاميني بشأن النماذج التي لم أتلقها بعد.

أجابت المرأة في تواضع وخضوع:

- حاضر يا سيد "نيوبولت".

رفعت "ديبورا" نحو رفيقها نظرة انتصار:

- ماذا قلت لك؟

نظر إليها في شك وسألها:

- كيف استطعت أن تخمني أنه رئيسها؟

ردت عليه بتواضع مصطنع:

- أنا ذكية بكل بساطة.

- ولكن ماذا أيضا؟

- إنني أمتلك الحاسة السادسة الشهيرة.

- أنا لا أصدق ذلك.

ابتسمت له ابتسامة صاعقة وقالت:

- إنني أحب المراقبة. إن دفتر مذكرات السيدة يبرز من حقيبة يدها، والسيد راجع كتيبا عن إدارة المشروعات.

لم يستطع "جوليان" أن يمنع نفسه من الابتسام.

- والرجلان هناك.. من هما يا آنسة "هولمز"؟

تظاهرت "ديبورا" بالتفكير وعيناها شبه مغمضتين.

- أمر سهل للغاية.. إنهما رجلا أعمال وهما شريكان.

- وهل لديك برهان على ذلك؟

- هذا ظاهر من وجهيهما. لقد ظلت عيونهما جادة ولديهما نفس ابتسامتك. وصديقتك "شاريس".

- "كلويه". اسمها "كلويه".. ولكن ماذا تقصدين؟

- ما سمعته. إنهما يبتسمان ابتسامة مهنية. والآن لاحظ خفية القس الموجود خلفنا.

نفذ "جوليان" ما قالته وهو ساهم يفكر إنه لم يقابل في حياته امرأة مذهلة مثلها استدار ناحيتها.

- وماذا بعد؟

- لا شيء.. إنه يبتسم بعينيه هو الآخر.

- حسنا جدا.. لننس الشريكين.

قالت له بود:

- كما تريد.. لناخذ الثنائي الآخر بالقرب من البوفيه.

- دعيني أخمن. لنر.. إن هذا ظاهر للعيان: عروسان في رحلة شهر العسل.

- خطأ.. عاشقان هاربان.

أطلق زفرة طويلة أكثر من اللازم.

- البرهان يا آنسة "شرلوك هولمز"؟

- إنه أمر بدائي يا عزيزي "واطسون" فالسيدة لا ترتدي خاتم زواج.

- الكثير من النساء المتزوجات لا يحملن خاتم الزواج.

- نعم ولكن السيد نفسه يحمل خاتما، وهو يراقب بطرف عينه مدخل العربة، وهو يخشى أن يلتقي باحد معارفه أو اقربائه.

ابتسم "جوليان":

- هذا مجرد تفسير.

نظرت إليه نظرة متعالية وقالت:

- وهو تفسير موضوعي. هل تحب أن اذهب إليهما واسالهما حتى أؤكد افتراضاتي؟

- لا.

كان يصيح تقريبا. تبادلا النظرات وانفجرا في الضحك انتهيا من طعامهما وعادا إلى مقصورتهما.

نهض القس، وخرج في الحال خلفهما. لقد كانت عيناه بلون أزرق غير عادي.

ما إن استقرا داخل المقصورة حتى طرق مضيف على الباب وقال:

- هذا من أجلك يا سيد "هالوران".

ناول "جوليان" مظروفا ثم حياه واختفى في الدهليز. والإثارة تلمع في عيني "ديبورا" وسألت:

- إنني أتساءل إن كان الخال "شارلي" معنا في القطار؟

- هذا ممكن.. عندما يتنكر من المستحيل التعرف عليه.

صفقت بيديها:

- إذن صاحبة المشرب هي.. هو!

هز راسه:

- هذا ممكن جدا.

فتح "جوليان" الظرف، واخرج منه ورقة مجعدة وقد خط عليها بضعة سطور بخط ثابت قرا وهو يزفر ثم ناول الخطاب إلى "ديبورا":

في "سان جوزيه".

عندما ينام عقرب الساعة.

وفي مغسلة الشارع الخامس.

هناك مطاردة "الكنز".

قالت معلقة:

- هذه الأبيات غير موزونة.

ثم مطت شفتيها في حركة مضحكة:

- مغسلة؟

دخل القطار في النفق وقد هدأ من سرعته.

الفصل السابع

بعد أقل من ساعة أوصلتهما سيارة أجرة إلى أمام مغسلة صغيرة أوتوماتيكية في الشارع الخامس، وكانت لافتة متواضعة تلمع وتضيء على الواجهة المصنوعة من الطوب الأحمر.

مطت "ديبورا" شفتيها قائلة:

- إن الخال "شارلي" تمادى أكثر من اللازم. كان من الواجب أن يرسلنا إلى مكان أكثر أناقة! إلى مطعم فرنسي مثلا.

كان داخل الحانوت مشابها لخارجه، ولابد أن آخر مرة تمت فيها عملية تنظيفه تعود إلى عشرة أعوام؛ لأن خيوط العنكبوت كانت تزين الجدران الخاصة بالردهة المدهونة بلون المفروض أنه وردي.

كانت ربة بيت بدينة منحنية على ماكينة غسيل وهي تخرج البياضات المبللة تملأ بها سلة ضخمة من الخيزران بينما سيدتان أخريان تثرثران بصوت منخفض وهما تطويان مفارش ومناشف في

حين كان رجل شاب نحيف معه صبيان يتصارعان أمام عصارة ملابس.

قالت "ديبورا":

- أقول لك: إنني منذ كان لي شرف التعرف عليك فإن خبرتي بالروائح قد زادت بشكل واضح وملحوظ ألا ترى أن هنا تفوح رائحة الرطوبة؟

رد عليها:

- أرجوك أن تنسي ما يضطهد تفكيرك.. لم نأت إلى هنا لاستنشاق الهواء، وإنما للعثور على تلك الأوراق اللعينة.

بعد ذلك أخذ يفتش بين ماكينات الغسيل. أطلقت "ديبورا" زفرة ثم هجمت على ماكينات التجفيف، وعند الماكينة الثالثة عندما أزاحتها ربة البيت الضخمة بسلطة ثم ألقت في الماكينة ملابسها الرطبة.

صاحت "ديبورا" في مهاجمتها وقد بدا عليها الغيظ:

- ما الذي تفعلينه؟

وضعت المرأة الأخرى يديها في وسطها وقالت:

- إن ماكينات التجفيف صنعت من أجل تجفيف الملابس.

- آه.. الملابس؟ هيا ارحلي من هنا!

- أنا هنا وسابقى هنا!

حدجتها "ديبورا" بنظرات متحدية وقد رفعت ذقنها:

- لا تكوني سخيفة! يوجد العديد من ماكينات التجفيف في هذا المكان. لماذا اخترت ماكينتي؟

- ماكينتك؟ هل بالمصادفة اسمك مكتوب عليها؟

اشتعلت نار باردة في عيني "ديبورا":

- إنك ستسعديني بأن تريني عرض كتفيك

أحست بأنها تنجذب للخلف. همس "جوليان":

- "ديبورا"! ألا يمكن أن تتركي بمفردك نصف دقيقة؟

احتجت وهي تحدجه بنظرة قاتلة:

- لقد سمحت هذه السيدة لنفسها أن تسرق ماكينة تجفيفي

مال على أذنها:

- انصحك بأن تدعي الأمر يمر بهدوء. إنها تزن على الأقل مائة كيلو جرام.. إنها ستسحقك.

- هل تظنني جبانة؟.. لا.. على جثتي.

خطت ربة البيت خطوة للأمام وقد سيطرت على "ديبورا" بجثتها الضخمة: أحست الشابة بالدوار فأثرت التراجع وقالت في لهجة متعالية:

- حسنا جدا. من حسن حظك ليس لدي وقت أضيعه في أمور تافهة مثلك.

رأت وميض الانبساط في عيني "جوليان" فابتسمت في امتعاض ثم قالت له:

- الحق معك. إن السيدة "هرقل" لم تكن ستتركني في حالي بسهولة.. ولكن لنعد إلى عملنا. أين يمكن إخفاء مستند سري؟

فجأة اتسعت عيناها على آخرهما:

- ها هو ذا لقد خمنت!

أشارت بيدها إلى موزع مسحوق الغسيل وأعلنت:

- هناك! أنا متأكدة من ذلك. إن كنزك يوجد خلف هذه الماكينة أبعدها عن الجدار وسترى. انتقلت أنظاره ما بين "ديبورا" إلى ماكينة توزيع مسحوق الغسيل الثقيلة وقال:

- أنت تمزحين!

- ثق بي! إنها مسألة استنباط منطقي بسيطة.

بعد خمس دقائق من الجهود المضنية استطاع أن يبعد موزع الصابون عن الجدار كاشفا عن سطح قذر ولكن لا يوجد أي شيء آخر؛ مما جعل "جوليان" يحدق في "ديبورا" بنظرات عدائية والعرق يغطي

جبينه. وقال:

- مسألة استنباط منطقي بسيطة. أليس كذلك؟

ابتسمت له بشجاعة وقالت دون خجل:

- هل هذه غلطتي إذا كان خالك غير مرتب الأفكار؟

شردت تفكر ثم مالت متعلقة على مائدة كي وقد تعلقت ساقاها في الهواء وهي تقول:

- أنت تضعني في مواقف غريبة يا "جوليان".

كتم سبابه وفجأة قفزت وصاحت:

- ولكن هذا واضح دون شك!

قفزت إلى الأرضية وركعت وصاحت بصوت مختنق من الانفعال:

- "جوليان".. أعتقد أنني عثرت عليها.

غاص تحت المائدة في نفس الوقت معها. وجد مظروفا ملصوقا فوق سطح المائدة من أسفل. وصاحت:

- قطعة شعر مكسورة أخرى! هذا هو السبب في أنني خدعت في المخبأ.. إنني كنت أبحث عن مستندات وليس عن أشعار. إن المستندات لابد أن تكون وراء الماكينة. ما لا معا على قطعة الورق ليقرأ:

"أرسل "رع" أشعته.

على نجيل السرادق.

اذهب حيث إنه في شاطئ "ستانفورد".

تحكم "فينوس" بكل مجدها.

وسترى الصورة فيما حواليك.

علقت "ديبورا" في امتعاض:

- "حواليك هذه ليست كلمة! لابد من حرمانه من شهادة الشعر! ما هي الصلة بين "رع" إله الشمس عند قدماء المصريين و"فينوس"؟ وأين يوجد شاطئ "ستانفورد" هذا؟ في الولايات المتحدة؟ اتعشم ذلك.. وإلا فإنني

أحذرك أنني ساقدم لك استقالتي.

- صه.. إنهم يراقبونا.

- إن الحق معهم. نادرا ما يشاهدون مخلوقين غريبين مثلنا يعبران كل "كاليفورنيا" بحثا عن أشعار سيئة.

أمام نظرات زبائن المغسلة المذهولة أمسك بذراعها وسحبها إلى الشارع. قال معترفا:

- لم أسمع أبدا عن "ستانفورد" ولا شاطئها. لابد أنها بقعة مخصصة للشواطئ الخاصة الفاخرة.

- بالقرب من المحيط دون شك كما يدل اسمه عليه؟

- يا للنظرة الثاقبة! على أية حال إنه دائما يدهشني.

- من؟

- الخال "شارلي".

بدأ السير وقال:

- إنه يجبرني على استخدام الأوتوبيس.

نظرت إليه نظرة غيظ:

- لماذا؟ ألا تستخدمه؟

أشار إلى سيارة أجرة صفراء لم تقف وقال:

- طبعا ركبته.. أكثر من مرة. بل كثيرا.

- متى؟

- من وقت بعيد. هل تريدين اليوم والساعة؟

انفجرت ضاحكة وقالت:

- لا داعي. إن تلك المحنة لابد أنها تعود إلى العصور الوسطى عندما كنت في الكلية. هل أنا مخطئة؟

اكتفى بأن قال لها:

- أنت ساحرة صغيرة وشريرة.

- وأنت غني بائس تائه في العالم الشنيع للمواصلات العامة، والتي يستخدمها الناس الأكثر منك ذكاء، ومن ناحية أخرى إنه يحقق لهم لقاءات مهمة.

همهم عبارة غير مفهومة وقالت:

- أهم من اللقاءات التي تتم على السفن الفاخرة.

نادى "جوليان" على سيارة أجرة، وطلب منه أن ينقلهما إلى موقف الأوتوبيس.

###

قدم لهم سائق السيارة الأجرة كافة المعلومات عن مواعيد الأوتوبيسات، وكان هناك سيارة أوتوبيس كل ساعة تقريبا إلى شاطئ "ستانفورد"، والسيارة القادمة شبه ممتلئة وسترحل خلال عشر دقائق.

انتهز "جوليان" هذه الفرصة؛ ليتصل بمكتبه تليفونيا من كبينة عامة. صرخ في سماعة التليفون.

- هل فكرت في الحجوزات؟ ولكن لا! لابد من إعادته إلى "باترسون". أجل لقائي مع "ليل" إلى يوم الاثنين. أريد أن أفاوض في الأمر شخصيا أنا أعتمد عليك يا آنسة!

كان قد عاد إلى شخصية رجل الأعمال دون أن يدري، وكان التغيير مثيرا للهيستيريا. وضع سماعة التليفون، ومرت بضع دقائق حتى يترك شخصية رجل الأعمال المتجهم إلى شخصية المغامر المرح.

صعدا إلى الأوتوبيس كآخر المسافرين، ونجحا في العثور على مكانين في نهاية العربة، وكان بجوارهما سيدة بدينة عجوز شعرها مجعد أشقر، وعيناها بلون اللازورد، وشاب وجهه محبب، وغارق في النعاس ويصدر شخيرا مزعجا.

التفت "جوليان" ناحية الشابة وقال:

- لدي إحساس أننا سنقوم بلقاءات مهمة ومثيرة.

www.rewity.com

أخذت تتثاءب، وقبل أن يستطيع أن يمنعها كانت تربت على كتف المسافر الجالس أمامهما.

- أرجو المعذرة يا سيدي ولكن مادمنا سنقطع جزءا من الطريق معا فإنني أفضل أن أقدم نفسي: أنا "ديبورا تيرنر"، وهذا "جوليان هالوران".

أجاب الرجل بصوت حار:

- تشرفنا.. أنا اسمي "فرانك فينيمان"، وأقدم لكما زوجتي "لويز".

هزت "ديبورا" رأسها وقالت:

- ليست لك اللكنة الكاليفورنية، وأخمن أنك من "بنسلفانيا".

صاحت "لويز":

- بالضبط. لقد قطعنا الجزء الأكبر من رحلتنا. إن ابنتنا تسكن على بعد مائتي كيلو من هنا.

همس "جوليان" من بين أسنانه:

- مثير جدا.

تلقى لكزة من كوع "ديبورا" في جانبه وابتسم وهو يكتم امتعاضه. سألت:

- هل أنتما متقاعدان؟

أطلق "فرانك" ضحكة:

- لقد فضحنا شعرنا الأشيب يا عزيزتي. إن حالتنا الاجتماعية الجديدة تسمح لنا بالترحال، ولا يوجد ما هو أمتع من الاستفادة من وقتنا.

وافقته "لويز" وهي تنظر في حب لزوجها:

- إن الثروة الحقيقية هي الوقت الحر.

استمر الحوار لمدة نصف ساعة كامل عرفا منه أن "فرانك" كان موظفا في البريد، و"لويز" مدرسة ولديهما ولدان.. بنت وولد وخمسة أحفاد

رائعين، وفي وقت قصير كان بقية الركاب المجاورين قد اشتركوا في الحديث. من الواضح أن "ديبورا" موهوبة في اكتساب الثقة، والناس كانوا يجيبون بحماس على أسئلتها..

عندما نعست وقد هدها التعب أخذ يتاملها زمنا طويلا، وأحس بالحنان نحوها: كانت في نعاسها تشبه طفلا ضعيفا وهشا يغري الناس بتدليله وحمايته.

عض "جوليان" على شفته. لقد أعطاها كلمة الشرف أن تكون رحلتهما الهروبية على أساس مهني بحت، وأقسم أن يفي بتعهداته. كيف يتصور هذا العذاب الذي يحسه الآن؟ إنه غير قادر على التفكير في "ديبورا" في غير إطار التامر. أكثر من مرة أوشك أن يحنث بقسمه وهو يعلم أن الساعة لابد آتية عندما لا يستطيع الاستمرار.

تساءل لماذا ترفضه؟ لماذا تهرب منه؟ لقد ظن أنه استشف عندها رغبة قوية مثل رغبته. إنهما مختلفان تماما، ويعيشان حياتين مختلفتين متناقضتين، وهو يعرف ذلك. نعم إنهما ليسا من عالم واحد.

ثم ماذا يعرف هو عنها؟ ربما لا تكون حرة. ربما لها خطيب أو حبيب.. رجل آخر في حياتها.

تصلب فكاه، وأحس بمغص في معدته. إن مجرد فكرة وجود رجل آخر في حياتها له الحق في أن يلمسها تعطيه الرغبة في القتل.

أدار رأسه ناحية النافذة، وتامل للحظات المناظر الطبيعية في "كاليفورنيا"، والتي تبدو كلوحة لعبة الألغاز الضخمة خضراء.. محمرة وذهبية..

أسند "جوليان" ظهره على مقعد، وعقد ذراعيه على صدره. لابد أن يصفي أفكاره، ويوضحها نحو "ديبورا" قبل أن يرتبط بـ"كلويه". ليس من العدل أن يسبب العذاب لـ"كلويه".. فتح عينيه فجاة. منذ متى ينشغل باله بالآخرين، وبما يمكن أن يشعروا به؟

هز رأسه وكأنه يطرد أفكاره. قال في نفسه إنه مرهق. ما إن يصل إلى شقته في "ساندلي" فإن كل شيء سيعود إلى النظام. سيعود كما كان من قبل.. كل شيء.. لا.. هذا مستحيل. لن يصبح أي شيء كما كان أبدا.

كانت "ديبورا" لاتزال نعسى عندما توقفت السيارة. مال "جوليان" عليها ومست أصابعه خدها الذي كان ناعما مثل خد الطفل وقال:

- استيقظي يا عزيزتي.

تمطت وتثاءبت. إنها أكثر جاذبية من معظم النساء اللاتي عرفهن.

قالت بصوت ناعس:

- مرحبا! هل وصلنا؟

وافق بهزة من رأسه ثم تنحنح ليسلك حلقه:

- نعم.. من الأفضل أن ترتدي صندلك.

نفذت كلامه، وبعد ذلك وجدا نفسيهما على الأرض الثابتة طبعا بعد أن حيا رفاق السفر. أصدرت الحافلة نفيرا ثم انطلقت وسط عاصفة من الغبار. تامل "جوليان" البوابة الخشبية التي تعلوها لوحة مرسومة بالألوان المبهرة توضح أن هذا هو مدخل شاطئ "ستانفورد".

كان مبنى صغيرا يقطع الطريق إلى الممر قالت:

- يوجد حارس.

- يجب إقناعه اننا اتينا لزيارة أصدقاء.

- لا يوجد ما هو أسهل من ذلك.

كان الحارس عجوزا عنيدا سمعهما دون أن يطرف له رمش. لا. لايمكن الدخول إلى شاطئ "ستانفورد" إلا بعد إبراز البطاقة، ولا أحد أخبر عن وصولهما.

زفرت "ديبورا".

- يا إلهي! إن ابنة عمي "مولي" دائما شاردة لابد انها نسيت اننا سنحضر اليوم.

لمعت عينا الحارس الضيقتان اللتان تشبهان بليتين من الزجاج وظل معاندا وقال:

- "مولي" من ؟ أخبريني باسم العائلة، وساتصل للتاكد.

- اسمها.. اسمها.. اه فقط لو كفت عن تغيير الأزواج. لقد تزوجت في ثوان قبطانا له وشم على صدره.. لابد انك شاهدته.

- لو انتظرت حتى أعطيك المعلومات..

- يا إلهي! كيف كان يدعى سابقا؟ "توني" شيء ما.. لست ممن يحفظون الاسماء.

شرح "جوليان":

- إنه اسم نادر للعائلة.

فتحت "ديبورا" عينيها على اتساعهما:

- إنني ساتذكره.. هيا.. إنه اسم يبدأ بحرف "ن".. هيا ساعدني.

ظل الحارس كجبل الجليد ثم قال:

- أسف ولكن ليس لي سلطة الإفصاح عن أسماء السكان. إما أن تعطيني الاسم الخاص بابنة عمك أو ترحلي.

ردت "ديبورا" في كبرياء:

- حسنا.. ولكني أحذرك فإن القبطان لن يسعد. بعد دقيقة كانا يسيران بجوار الدرابزين الخشبي المحيط بالأملاك الخاصة بالشاطئ. كانت الشمس تسطع بين الضباب التي كونتها أشجار القسطل التي انتشرت فوق النجيل. همهم "جوليان":

- اللعنة على الخال "شارلي"! إن هذه المغامرة لن تخدم في شيء. كان عليّ أن أشك في ذلك منذ البداية بدلا من السير مع لعبته.

- قليلا من الشجاعة! هل هذا السور التافه هو الذي يخيفك؟

- إن السور يبلغ مترين ارتفاعا.

- وماذا في ذلك.. لنستخدم خيالنا.

تامل الوجه الصغير ذا العينين اللامعتين تحت كتلة الشعر الأسود الكثيف:

- أحيانا عبقريتك تجعل فرائصي ترتعد.

كان صندوق قمامة في انتظارهما في نهاية الطريق قلبه "جوليان"، واستخدمه مثل جهاز الترمبولين الذي يستخدم للقفز في الهواء، وقفز من فوق السور.

- الدور عليك يا "ديبورا"!

مالت على الصندوق والقت نظرة قلقة فصاح:

- ما الذي تنتظرينه؟

- إنني افكر فجاة في تلك الدراسة التي نشرتها مجلة "نيويورك تايمز" حول الثقة بين الزوجين هل قراتها؟

- بحق السماء.. من الممكن أن يشاهدونا.

- إن الأمر يتطلب السقوط من الخلف بين ذراعي الزوج. حسنا.. انت لا تصدقني ولكن ٤٠٪ من الناس رفضوا الاختيار بسبب نقص الثقة.

- لقد كانوا مخطئين.. هيا.. اقفزي.

- ومع ذلك كانوا متزوجين من سنوات طويلة.

- لماذا إذن اثق بشخص لم اتعرف عليه إلا من أسبوع واحد؟

- اقفزي عليك اللعنة!

اغمضت عينيها، وامسكت بحافة السور، وتارجحت في الفراغ ثم استقرت بين ذراعي "جوليان" ثم اعلنت في مرح:

- لقد قلت دائما إن الثقة هي أساس كل شيء.

نظر إليها دون أن يبتسم ثم وضعها على الأرض. قال بعد أن أخذ نفسا عميقا:

- هيا نبحث عن الكوخ.

تبعته عبر الغابة. كانت المنازل الصغيرة على جانبي الطريق

والشوارع. كان تقسيم الأرض الخاصة مهجورا وبعد فترة ظهر كوخ رئيسي في نهاية الطريق. فجاة شاهدا عبر الأوراق الخضراء رجلا فوق سرير معلق بين شجرتين، وعند أسفل الشجرة جلست امراة تقرا، وهي تحرك مروحة.

همست "ديبورا":

- هل رأيت.. يا "جوليان"؟

- إنه معسكر محبي الطبيعة.. لا ينقصنا إلا هذا!

- ما الذي سنفعله؟

- لا يوجد سوى وسيلة واحدة حتى لا يلاحظنا أحد..

ابتسمت في مكر وقالت:

- هل ستتخلى بسهولة عن رباط عنقك؟

كان من بين العراة الذين يتجولون في الاكمة البعض يرتدي بشكيرا حول صدره، وكان الجميع يخرجون من كبينة ضخمة من الخيزران والبامبو. قالت:

- إنه حمام سونا.. هيا نذهب لنحضر زيا.

###

تقدمها ببضع دقائق وانتظر وهو متكئ على جذع شجرة. كان جسده رياضيا مثل أجساد الأبطال الإغريق، وكان بياض البشكير يظهر بشرته البرنزية بشكل واضح. عقدت "ديبورا" بشكيرها حول صدرها حتى منتصف ساقيها وعندما نظر إليها "جوليان" احمر وجهها خجلا. سالته:

- إنه مكان مثالي لقضاء العطلات.. أليس كذلك؟

- ليس بالنسبة لي. عندما تكونين في المكان سافقد صوابي!

اعترض رجل بدين طريق الشابة، والقى نظرة متسائلة نحو بشكيرها. ابتسمت له ابتسامة ودودا وقالت له:

- لقد نصحني طبيبي أن أتجنب تيارات الهواء.

هز الرجل رأسه دون أن يفهم ثم ابتعد.

قال "جوليان":

- من المؤكد أنه لا ينقصك أبدا سرعة البديهة.

اتبعيني.. لقد لمحت "فينوس".

أشار بيده إلى تمثال من الرخام الأبيض موضوعا على قاعدة تطل على ملعب كرة طائرة.

قالت "ديبورا":

- "فينوس" بسبب هواة الطبيعة، و"رع" من أجل الشمس. كل شيء واضح.

تركت شابة شقراء فريق الكرة الطائرة، وكان من الواضح أنها اهتمت بـ"جوليان". كانت صارخة الجمال، وقد لاحظت "ديبورا" ذلك وهي تحس بوخز في قلبها.

اقتربت بخطوات غير مكترثة من الشقراء التي كانت على وشك الحديث مع "جوليان" وهمهمت:

- لا تحاولي أن تلمحي بشكل خاص إلى بشكيره.. إن هذا يضايقه؛ لأنه يخفي جرحا قديما من حرب "فيتنام" هل فهمت؟

نظرت الشقراء إلى "جوليان" نظرة مرعوبة.

- تريدين.. تريدين أن تقولي..

هزت "ديبورا" رأسها بطريقة بليغة.

- بالضبط! هل تذكرين "جاك بارن" في فيلم "الشمس تشرق ثانية"؟ إنه نفس العجز.. وأسوأ.

تاملت في رضا الشقراء، وهي تعود من طريقها ثم سارعت لتلحق بـ"جوليان" الذي سألها:

- ماذا قلت لها؟

- لقد أرادت أن تعرف ماركة طلاء أظافري.

حدجها وعيناه شبه مغمضتين وقال:

- إذن لماذا كانت تحدجني؟

ردت عليه بكل ثقة.

- أنا لم ألاحظ ذلك.

تحركت نحو التمثال وقالت:

- أنت تضيع الكثير من الوقت يا سيد "هالوران" إننا في حاجة ماسة إلى هذه الأوراق.. أليس كذلك؟

همهم:

- أيتها الشيطانة اللعينة.

كانت "ديبورا" هي التي اكتشفت الظرف في الشريط الذي يفصل بين التمثال وقاعدته.

الفصل الثامن

"مقصورة خالية
في قطار "ساكرمنتو" السريع
ستقودك إلى أقرب مكان
من الشيء المطلوب".

- كفى!

جعد "جوليان" الورقة، وصنع منها كرة، وألقى بها من نافذة سيارة الأجرة التي كانت منطلقة ناحية "سان جوزيه" وقت الغسق.

- لقد فاض بي الكيل! جهود مضنية وكثيرة من أجل لا شيء. ومع ذلك فإن الخال "شارلي" ليس مخبولا تماما. لابد أن هناك شيئا ما في رأسه.. فكرة خلفية أجهلها، ولا أستطيع أن أفسرها لنفسي.

سكت لحظة ثم استطرد:

لماذا يريد تعذيبي؟ لماذا يرسلني إلى "ساكرمنتو"؟

قالت "ديبورا":

- لا أستطيع الذهاب إلى هناك.

استدار نحوها وقد بدا عليه القلق:

- ما الذي تقولينه؟

كررت:

- أنا لا أستطيع الذهاب إلى هناك! إن دخولي المسرح يبدأ في منتصف الليل، ولا يمكنني أن أفوته.

أمسك بيدها وقال:

- أنت لن تتخلي عني الآن. أعلم لسبب لا أعرفه أنك مفتاح اللغز.

هز رأسه:

- إن هذا العجوز اللعين متمسك بأن تكوني جزءا من اللعبة، وإذا لم تحضري فلن تكون أمامي أي فرصة لوضع يدي على تلك الأوراق.

كانت "ديبورا" مسندة رأسها على زجاج النافذة وقد استغرقت في تأمل المناظر الطبيعية التي بدا لونها يتحول تدريجيا من الأخضر إلى الأزرق المدخن.

- لم يفتني أبدا أي عرض، وأحب من صميم قلبي أن أساعدك ولكن الواجب يناديني.

كانت تتحدث بلهجة شبه مرحة. قال لها:

- أرجوك يا "ديبورا"!

- أنا آسفة. إن العثور على عمل نادر في أيامنا هذه، وعندما يحصل المرء على واحد يجب عليه أن يتعلق به. أنا..

وجدت نفسها في حالة تشبه حالة "أليس" وهي تتبع الأرنب في أسطورة "أليس في بلاد العجائب". كررت مرة أخرى:

- أنا لا أستطيع!

ولكن عينيه السوداوين تتضرعان إلى عينيها وتسبران غورهما.

نسيت "البطة الخضراء" والعرض نفسه، والأسوأ من ذلك أنها لم تعد تتذكر لماذا تريد العودة إلى "لوس أنجيلوس" إن ما يهمها الآن عيناه السوداوان اللتان تتضرعان إليها.

ألح الرجل بصوت ناعم كالقطيفة:

- "ديبورا"؟

ابتلعت ريقها بصعوبة ثم قالت:

- أعتقد أن زميلاتي يمكنهن التغاضي عن نمرتي مرة، وما إن نصل إلى محطة القطار فسأتصل بالمدير "بتروف".

انفرجت أساريره، وأحس بحب شديد نحوها. ثم قال:

- إنك لن تندمي على ذلك أبدا. إننا لن نترك السباق وقد أوشكنا على النهاية.

أحست "ديبورا" بنفس الرجفة التي تحسها كلما بدا الحب واضحا في عينيه.. قال لها برقة:

- إن السيد "بتروف" رجل طيب، وأنا واثق بأنه سيتفهم الوضع..

أظهر مدير ملهى "البطة الخضراء" غضبه بدرجة مزعجة حتى إن "ديبورا" وضعت السماعة ولديها إحساس مؤلم أنها فقدت وظيفتها.

وجدت "جوليان" عند الرصيف ثم نظر إلى ساعته وقال:

- لقد اتصلت بسكرتيرتي ثم بعد ذلك سأحاول الاتصال بـ"كلويه"؛ إن معي موعدا معها هذا المساء. قالت له:

- هيا اذهب.

كانت تفكر في "بتروف" الذي كان ثائرا.

بعد خمس دقائق شاهدت "جوليان" يخرج من كبينة التليفون.. قالت له ساخرة:

- ماذا؟ هل بدت "كلورس" متفاهمة أم إنها بدت بائسة؟

صحح الاسم بطريقة آلية:

- اسمها "كلويه"! لا.. إنها ليست بائسة ولا غاضبة بل بدت متفهمة تماما.

ظلت تعبيرات وجهه لا تنم عن شيء، وإن كشفت عيناه عن بعض القلق وكأنه يواجه مشكلة بلا أمل.

تساءلت "ديبورا" عن صلته بتلك الشقراء الأنيقة التي لم تقابلها سوى مرة واحدة. قالت:

- إن "كلاريس" فتاة ممتازة.

- نعم.. ممتازة جدا.

- ممتازة أكثر من اللازم.

نظر إليها بإمعان وسألها:

- ولماذا ممتازة أكثر من اللازم؟ يبدو أنك تتهميني بشيء ما.

- لقد قلت: إنها ممتازة أكثر من اللازم بالنسبة لك إنها شخصية صادقة في حين أنك...

- أنا ماذا؟

- لدي إحساس أنك كذبت عليها...

كانت تتحدث ببطء، وهي تركز على كل كلمة تنطقها ركزت نظراتها على رفيقها، وراحت عصبا يتلاعب في فكه فقالت تكمل عبارتها بثقل:

- إنها تستحق من هو أفضل منك.

قال صارخا رغما عنه:

- شكرا!

كيف تتجرأ وتحكم عليه؟ منذ متى وهي تظن نفسها مديرة ضميره؟ إن صلته بـ"كلويه" لا تهم أحدا سواه. ومع ذلك... أليس صحيحا أنه منذ فترة أهمل هذه المرأة بدعاوى مزيفة؟

استدار نحو "ديبورا" ولديه نية تجاهل اعترافه ولكنه صدم بتعبير وجهها: كان وجهها الذي كان عادة صريحا، وحيويا للغاية أصبح

مغضنا، وعيناها السوداوان الرائعتان مركزتين على كشك جرائد.

سألها:

- ماذا هناك يا "ديبورا"؟

لم تتحرك وسألته:

- في اي يوم نحن؟

- الأربعاء.

- ما هو التاريخ؟

- الثاني والعشرون؟

كررت بلهجة شنيعة:

- الثاني والعشرون.

أخذت نفسا عميقا ثم شقت طريقها وهي تقول:

- حسنا.. لابد أن أجري مكالمة.

تبعها إلى الكبائن التليفونية العامة. أمسكت "ديبورا" السماعة، وأدارت رقمين ثم طلبت من عاملة التليفون بصوت هادئ بدرجة مثيرة رقما في شمال "كاليفورنيا" في مدينة تسمى "بلو ليك" قالت بعد فترة:

- أمي؟ كيف حالك؟

سكتت فترة وقد ساد وجهها قناع من الحزن ووصله صوت خشخشة.

- نعم.. نعم أعرف. سأحاول الاتصال بك كثيرا. لقد عملت كثيرا، ولم يكن لدي وقت.. لا يا أمي.. طبعا ليس أهم منك..

ابتسمت ابتسامة مقتضبة، وأكملت:

- إنني أريد فقط أن أتمنى لك عيد ميلاد سعيدا هل تلقيت الكثير من الهدايا؟

غاضت ابتسامتها. لم يصدق "جوليان" عينيه لم تعد "ديبورا" على الإطلاق تلك الرفيقة المرحة التي يعرفها. لقد مسخت فجأة إلى بنت صغيرة خائفة ومرعوبة. قالت بعد فترة:

- أمي! هل تحدثت في ذلك مع الدكتور "راجسدال" من فضلك اهدئي! طبعا عندك حق ولكني فكرت أنه قد يستطيع مساعدتك. من هو طبيبك الجديد؟

أخذت نفسا عميقا وقالت:

- حاولي ألا تنظري أبدا إلى الحياة من جانبها السيء. أنت...

قطعت حديثها ثم قالت:

- نعم لقد فهمت. ولكن إذا أردت الخروج قليلا ومقابلة الناس..

يبدو أن شلالا من الكلام جاء من الطرف الآخر.

- بالتأكيد. أنت تعرفين جيدا أن أي شخص يناسبك.. أنا أريد..

سكتت مرة ثانية ثم قالت:

- أريد فقط أن أساعدك.

أسندت ظهرها على الجدار الزجاجي للكبينة، وأغمضت عينيها، وأصبح وجهها شديد الشحوب. مرت عشر دقائق قبل أن تتمكن من أن تقول كلمة:

- اهدئي يا أمي! أنا أحبك يا أمي.

ابتلعت ريقها بصعوبة وهي ترتجف مثل شخص في مهب الريح الباردة، وصوت الخشخشة لا ينقطع على الطرف الآخر من الخط. فجأة بدت "ديبورا" وكأنها تخرج من دوامتها وقالت:

- موافقة.. سأتصل بك.. إلى اللقاء يا أمي.

وضعت سماعة التليفون وقد بدا عليها مزيج من الارتياح والخيبة. همهم "جوليان":

- "ديبورا"!

منحته ابتسامة مغتصبة وقالت:

- الأمهات.. إنهن السبب الأول في بياض شعرنا. أخذت طريقها دون أن تتيح له فرصة السؤال وقالت:

- بسرعة... سيفوتنا القطار.

- "ديبورا"!

أمسكت بذراعه، ودفعته نحو القطار بحماس زائد:

- أنا أكاد أموت جوعا. إن زيارة لعربة المطعم ضرورية.. إنني أحلم بقطعة لحم ضخمة مقلية، وجبل من البطاطس المقلية.

أثناء الطعام لم تكف عن الكلام. وجد "جوليان" صعوبة في ألا يعتبر حماسها هذا أمرا غريبا. في الساعة التاسعة عادا إلى مقصورتهما. التصق ظلام الليل بزجاج النوافذ مثل الضباب كانت أسرة النوم قد أعدت. أضاء "جوليان" مصباح السقف. ظلت "ديبورا" واقفة. أمسك بيدها وسألها:

- "ديبورا"؟

ابتسمت وسألته:

- ماذا هناك؟

أجبرها على الجلوس بجواره على حافة السرير وسألها:

- ما رأيك لو تكلمنا؟

وافقته بود:

- لم لا؟ ولكن عن أي شيء نتحدث؟ ما هي موضوعاتك المفضلة؟ السياسة؟ الدين؟ الجو هذا العدو المجهول..

- لا شيء من هذا؟

- ماذا إذن؟

- لنتحدث عن أمك؟

نظرت إليه بعينين منتبهتين وسألته:

- ماذا تعرف عنها؟

- كل ما أعرفه هو أنها تجعلك تعيسة، وهذا يؤثر في بلا حدود.

بدا وميض الدهشة في عينيها الواسعتين وهي تسأله:

- هل هذا صحيح؟

ابتسم وقال:

لماذا؟ هل هذا يدهشك؟ ربما ليس لدي صدق "كلويه" ولكني لست عديم الإحساس.

- آه.. أنت تعترف بذلك! إنني لا أريد بالتأكيد أن أصطدم بك ولكني ألح في قولي أنك لا تؤدي دورا أمينا مع "كلوتيلد".

- اسمها "كلويه"، ولا تحاولي تغيير الموضوع. والآن تحدثي!

- هل هذا استجواب؟

- نعم.. إذا كان هذا يطمئنك.

- ما الذي تريد أن تعرفه؟ اليوم هو عيد ميلادها وقد اتصلت بها لأهنئها به.

- ثم؟

- ثم ماذا؟

تنحنحت وأرادت أن ترفع رأسها ولكن يدا حديدية أعادت وجهها لمواجهته. زفرت زفرة عميقة وقالت:

- ثم.. إنك سمعت.. لقد مر الأمر بالضبط كما هي العادة: إنها لم تكف عن تأنيبي ورددت: لماذا لا أتصل بها دائما، ولماذا لا أهتم بها؟ ولماذا أنا لست رقيقة مثل بنات الجيران؟

تجهمت فترة ثم واصلت:

- إن أمي تظن أنه من واجبي أن أهتم بها، وأنني عكازها في شيخوختها، وفي رأيها لابد أن أقيم في منزلها، وأخدمها بإخلاص حتى موتها.

نظر إليها نظرة سوداء كالحبر.. قالت:

- إنها بلغت اليوم ثلاثا وأربعين سنة!

قال لها بهدوء:

- لقد حكيت لي وجهة نظرها ولكن انت ماذا تظنين؟

- احيانا احس بانني مذنبة: لانني هجرتها واغلب الوقت احس بانني تعبت منها. تعبت من أن اسمعها في طلباتها المغالى فيها، وفي نوباتها العصبية، وعد ماسيها التي لا تعد ولا تحصى. تعبت من أن اسمعها تشكو من الطريقة التي اعاملها بها. انا لم اعد اطيق!

- هل مات أبوك؟

- نعم.. عندما كنت في الخامسة من عمري ولكن والداي كانا مطلقين قبل ذلك بسنتين.

- إذن لابد أن أمك تعودت على الحياة بمفردها الم تعثر على وظيفة بعد طلاقها؟

أطلقت ضحكة حادة مشوبة بالغيظ:

- أمي ممتازة في وظيفة الزوجة الشرعية. لقد انتهى زواجها الخامس بكارثة منذ ثلاث سنوات كان هذا بعد رحيل "فريد" عندما القت شباكها عليّ وتفرغت لي.

قال وهو غير مصدق:

- خمس زيجات؟

- خمس.. ومع ذلك هي ليست طائشة بل بالعكس لقد اولت اشد اهتمامها لكل من الزيجات، وكل انفصال كان يتبعه- بالضرورة- اكتئاب نفسي، وانهيار عصبي. إنني اكره أن اراها تتعذب.

كانت وهي تتكلم قد اغلقت عينيها وقد هاجمتها الذكريات. فرضت صورة امها- وهي شاحبة ومهزومة- نفسها على ذهنها.

كانت "ديبورا" قد فتحت صدرها إلى زوجي أمها الأولين دون جدوى، وانتهى بها الأمر إلى ان كرهتهما؛ لانهما جعلا امها شديدة التعاسة. شيئا فشيئا تمردت على العذاب الذي لا مناص منه، والذي كان يتوج كل زواج فاشل للسيدة "تيرنر".

إنها لن تسمح لأي إنسان أن يعاملها بنفس الطريقة. إنها لن تسمح للظروف ان تحطمها مثل امها. لقد صنعت "ديبورا" لنفسها قوقعة تعزلها عن بقية العالم.

نظرت إلى "جوليان"، وحاولت أن تبتسم وقالت:

- هكذا! أنت تعرف الآن قصة حياتي الحزينة. إن مهنتي كممثلة هي نوع من الدفاع.. نوع من التمرد لو أن امي كانت اكثر غرابة عما هي عليه لاصبحت متوازنة مثل صديقتك "كاميل".

- لا اعتقد ذلك يا عزيزتي. إنك ستظلين "ديبورا" حتى بدون هذه الحاجة الغاضبة أن تجعلي نفسك مقبولة من الآخرين.

رفعت احد حاجبيها:

- استمر! أنا لم أشعر بالضيق أو الأسف؛ لانني وصفتك بالكاذب.

قال ضاحكا:

- هذا صحيح وايم الحق.. حسنا جدا! ساقول لك اساس فكري: انت تفعلين كل ما بوسعك؛ حتى تجذبي انتباه الآخرين.

من تعبير وجهها فهم أن تخمينه صحيح. سالها:

- من أين جاءك شغفك بالمسرح؟

- أوه.. قل إنني احب أن اغش.

- بالعكس.. انت العفوية نفسها. ببساطة انت تخفين نقاط ضعفك وراء روحك الفكاهية الطبيعية. إنه نظام ميكانيكي إنساني عادي، وكل الناس يتصرفون هكذا.

- وانت كذلك؟ خلف ماذا تختفي؟

- الطموح والعمل والتجارة والمال.

نظر إليها، وادرك فجاة كم اضاع من عمره. ذهب ليجلس بجوارها على السرير الحائطي. ثم همس بصدق:

- لقد كنت مخطئا. اوه يا "ديبورا" كم انا محتاج إليك!

لم يحاول أن يخفي انفعاله وعاطفته. قال لها هامسا بعد فترة بصوت متحشرج:

- ربما لا أكون نوع الرجل الذي تعودت على مصاحبته يا "ديبورا" ولكني أؤكد لك أنني أعرف قيمتك، ولا أتصرف تصرفا طائشا.

لم تعد "ديبورا" تستمع إلى الكلمات، وإنما تنصت لعواطفها وأحاسيسها قال لها:

- لن تندمي يا حبيبتي.. لقد كنت وحيدا ولكني لم أدرك ذلك. منذ متى ونحن متعارفان يا حبيبتي؟

أجابت عليه في همس:

- منذ تسعة أيام.

أخذ يتأملها في وله، وهمس بصوت متقطع:

- تسعة أيام.. هذا مستحيل.. أنت فاتنة للغاية لدرجة مؤلمة.

سبحت في الفضاء مع سحابة أحلامها لم يسبق لها أن مرت بهذه التجربة الممتعة مع رجل من قبل.. إنها ليست مثل بقية الفتيات اللاتي لم يكن لهن هم سوى إشباع رغباتهن المراهقة، والتمتع بالحرية العاطفية التي سرت في المجتمع الأمريكي في الستينات.

قالت له ضاحكة:

- ليست هناك كلمات أصف بها ما أحسه يا "جوليان".. معك الحقيقة تجاوزت كل آمالي لقد فهمت الآن معنى العاطفة الجامحة بلا حدود.

رد عليها ضاحكا:

- إن الزمن يتغير ولكن الرجال يظلون كما هم.

###

كان "جوليان" نائما في السرير العلوي على ظهره وقد وضع يديه خلف رأسه وعيناه مثبتتان على الظلال المتحركة. كان يحس تحته باهتزازات القطار الذي ينطلق وسط ظلام الليل. كان يظن نفسه حرا

ولكنه لم يكن حرا. كان قد أقسم بين نفسه قسما سريا لم يصرح به علنا أن يرتبط بهذه المرأة النائمة في نفس المقصورة معه. نظر إليها في حنان وحب. كان وجهها الصغير الثابت يشكل بقعة شاحبة وسط شعرها المبعثر حولها على الوسادة.

قال في نفسه: أنا أحبها.

بدت حياته السابقة خالية من المعنى. رفع خصلة من الشعر الأسود كانت تغطي جبين "ديبورا" ثم أغمض عينيه وهمهم:

- أنا أحبها.

وأمامه الوقت كله: ليقولها لها.

الفصل التاسع

انسابت دموع لا يمكن التحكم فيها من عيني "ديبورا" المغمضتين. لقد تصورت أن "جوليان" لديه شيء ما يريد أن يقوله لها ولكنه اكتفى بأن أبعد خصلة الشعر السوداء من على جبينها ثم عاد إلى النوم دون كلمة.

مرت لحظات طويلة كالدهر انتظرت أثناءها وهي تكتم أنفاسها.. إن الرجل الذي معها في نفس المقصورة نائم.. نعسان. لقد أصبح تنفسه خفيفا ومنتظما.

انزلقت "ديبورا" في حذر شديد من فوق السرير، وجمعت بقية ملابسها وبعد قليل كانت تشد الحزام الخاص بمعطفها القصير، وتترك المقصورة دون جلبة.

مالت في الدهليز على زجاج النافذة المهتز وقد ركزت عينيها على الظلام وهي تنصت إلى صرير العجلات الحديدية على القضبان. بعد

ساعة أو ربما أكثر من ساعة- فهي لا تدري كم مر عليها من وقت- دخل القطار المحطة ثم وقف بعد هزة عظمى. بعد أن ألقت "ديبورا" نظرة أخيرة على باب المقصورة الذي ينام خلفه الرجل الذي تحبه هبطت إلى الرصيف.

سارت بجوار طابور عربات القطار الذي لا نهاية له بينما انهمك مجموعة من العمال في العمل بالقرب من القاطرة. سمعت "ديبورا" من يقول:

- يبدو أننا سنتعرض للتأخير.

استدارت وتعرفت على المضيف الخامس بالدرجة الأولى.. قالت له متسائلة:

- أرجو المعذرة؟

كرر الرجل:

- إن القطار سيتأخر، ويمكنك أن تأخذي راحتك.

ابتسمت ابتسامة مغتصبة، وردت عليه:

- شكرا.. على أية حال لن أعود.

نظر إليها المضيف حائرا وسألها:

- ألن تذهبي إلى "ساكرمنتو"؟

همهمت:

- لقد غيرت رأيي.

دارت على عقبيها، واتجهت إلى المحطة وخطواتها ترن بطريقة غريبة وسط المساحة الفسيحة الخالية دخلت "ديبورا" مشربا مبهر الإضاءة، وطلبت قهوة سادة بصوت لا رنة له. سألتها الساقية وهي تضع القدح الذي يتصاعد منه الدخان:

- هل تنتظرين القطار؟

- أوه.. نعم.. أريد أن أعود إلى "لوس أنجيلوس" هزت المرأة رأسها.

وكانت امراة نحيفة:

- "لوس انجيلوس"؟ ليس هناك قطارات قبل ساعتين.

هزت "ديبورا" كتفيها بلا اكتراث ثم احتست جرعة من القهوة وقالت:

- لا يهم. سانتظر.. إنني دائما اخصص وقتا في اليوم للتفكير.

- الحق معك.. اما بالنسبة لي فإنني احلم براحة: انا اكاد اموت ايضا.

شمت بانفها بصوت عال ثم اشعلت سيجارة، ورغم فخامتها المفرطة إلا انها كانت مفعمة بالنشاط صاحت المراة فجاة:

- "البرت"! ولكن افتح باب الوسط.. ألا تحس بالحر؟

ذهبت وراء مائدة الحساب وإعداد الطعام، وخرجت من ورائها وبيدها قائمة طعام، واخذت تهوي بها بعنف أمام وجهها وقالت:

- إنني اختنق.. الست كذلك؟

ابتسمت "ديبورا"، وسالتها وقد التقطت اسمها من فوق اللافتة المعلقة على صدرها:

- هل تعملين دائما بالليل يا "جاني"؟

رفعت الساقية حاجبا اسود كالفحم وقالت:

- ليس هنا: فلا يوجد عدد كاف من العملاء. انا اتي إلى هنا في عطلات نهاية الاسبوع، وبقية الوقت اعمل وسط النهار. الحياة ليست سهلة.

اخرجت موجة ثقيلة من دخان السجائر وقالت:

- إنني افضل زبائن النهار.

- إذن انت لديك وظيفتان؟

- نعم.. وانا مضطرة لذلك. إنني اعمل سبعة ايام في الاسبوع. ثم إنني اعمل في بيوت خاصة. مساء امس مثلا كنت اعمل في تنظيف اعمدة لافتات الدعاية، وفي بيت اهم رجال الصحافة.

طرقت باصبعها طرف سيجارتها لتسقط الرماد ثم استطردت:

- كان عليك ان تشاهديهم.. إنهم سفهاء! لقد تصرفوا كالمجانين.. لقد احتسوا الكثير من المشروبات.. لم اشاهد في حياتي عددا من الجثث في حجرة واحدة. إنهم حيوانات.. لم تستطع "ديبورا" ان تكتم ضحكتها وهي تقول:

- لابد انك ارهقت لدرجة الإعياء.

نظرت إليها "جاني" نظرة بليغة وقالت:

- لمن تقولين؟ وهذا العمل المؤقت الصغير استمر حتى الثانية صباحا. هؤلاء الرجال يجتمعون مرة في الشهر، ويفعلون دائما نفس الشيء. كل شيء يبدأ نظيفا وينتهي الأمر بهم إلى السير على اربع فوق الموكيت.. حيوانات!

- اتصور انك في اليوم التالي تنالين راحة تستحقينها عن جدارة.

أعلنت "جاني" بفخر:

- انا؟ إطلاقا! انا اعمل سبعة ايام في الاسبوع، وفي كل يوم اثنتي عشرة ساعة.

- هذا امر لا يصدق.

قالت الساقية دون اي تواضع:

- ولكن هذا حقيقي. إنني احب استقلاليتي هل فهمت؟ لست ملزمة بتقديم حساب لاحد، واصرف نقودي كما يحلو لي، وفي العام الماضي ذهبت لامارس رياضة الشتاء، وقدمت لنفسي رحلة بحرية. هذا العام ساقوم برحلة إلى "اوربا"، واعتقد انني ساتمكن من شراء معطف من الفرو.

هزت كتفيها بلا اكتراث، وارسلت سلسلة من حلقات الدخان في الهواء نحو السقف:

- إنها حياة تعجبني. لا احد ينتظرني، ولا احد يمكن ان يتخلى عني

أو يخدعني.

سحقت عقب السيجارة ثم ذهبت لخدمة عميل جديد. اطلقت "ديبورا" زفرة. إن "جاني" على حق. عدم وجود شخص في حياتها هو ما يجنبها متاعب لا ضرورة لها، ولا جدوى من ورائها. إن "ديبورا" هي الأخرى متمسكة بحريتها قبل أي شيء.

اسندت ذقنها بين راحتي كفيها، واخذت تحدق في صورة فوتوغرافية مغطاة بالغبار لجسر "جولدن جيت" تزين الجدار خلف بنك الحساب. تساءلت: ما الذي حدث مع "جوليان"؟

عرفت في أول يوم أن كلا منهما لم يخلق للآخر، وكانت مضطرة لأن تهرب منه في كل مرة تحس بانها مهددة، وهذا المساء.. إنها لن تغفر له أبدا!

أخذت "ديبورا" نفسا عميقا، وفكرت انها ربما تبالغ، وأحست بالارتباك والحيرة؛ لقد سمعت دائما أن أول تجربة حب تكون ماساوية ومع ذلك فإن صراحتها الطبيعية دفعتها للاعتراف بأن أول ليلة حب مع "جوليان" كانت رائعة، وهي ليست على استعداد لنسيانها.

- وساخذ قطعة من هذه الفطيرة بالتفاح إذا كان هذا لا يزعجك يا عزيزتي.

قفزت "ديبورا" فزعة.. إن هذا الصوت تستطيع التعرف عليه من بين الف صوت.

استدارت فجاة، وفتحت عينيها على اتساعهما عندما رات رجلا ضئيلا مكورا، واصلع مثل البيضة وقد جلس عند إحدى الموائد.

- "ارثر"! بحق السماء ماذا تفعل هنا؟

عبرت عينا "ارثر" الزرقاوان عن اقصى درجات الدهشة:

- عزيزتي "ديبورا"! لم اكن اتصور ابدا انني سأقابلك في هذه المحطة.

نهض واقترب منها وقال:

- إن العالم صغير.. أليس كذلك؟

سالته:

- لماذا أنت هنا؟

- العائلة يا حلوتي! العائلة! إنها كارثة يجب تحملها من حين لآخر. كيف انتظر أن القاك في هذه الصحراء وسط الليل.

- إنني انتظر وسيلة انتقالي إلى "لوس انجيلوس" اخذت عينا "ارثر" اللامعتان تفحصانها بإمعان لا يطاق. سالها:

- ما الذي لا يجري على ما يرام؟

- ولكن لا شيء.

- من غير المجدي أن تكذبي. انا لم اشاهدك من قبل جادة وشاحبة لهذه الدرجة.

ارتجفت فور نطقه هذه الكلمات المرفوضة.

ردت عليه وهي تبتسم:

- انا؟ جادة؟ أنت تمزح! على أية حال انت مخطئ، والسنوات هي السبب.

شكر "ارثر" "جاني" بإيماءة من رأسه، والتي احضرت له قهوته، وفطيرة التفاح. قال برزانة:

- لا تتحدثي عن سني.

أخذ يقضم فطيرته وهو ساهم يفكر:

- أوه.. نعم.. لابد انني مخطئ. يا عزيزتي الصغيرة "ديبورا" لا يمكن أبدا أن تكوني جادة!

ردت عليه وهي لا تشعر بمدى خوفها:

- لنعش الساعة الجميلة.. إن الحياة عيد، ويجب الاستمتاع وإلى الجحيم تذهب المبادئ!

ابتلع صديقها قطعة ضخمة من الفطيرة ووافقها:

- بالضبط! إن المواقف بسيطة، الناس هم الذين يعقدونها.

سكت ليبتلع ما في فمه وقال:

- أنا أعيش اللحظة. فلماذا نرفض لحظة مميزة من الحياة؟ ولماذا باسم المبادئ نحرم أنفسنا من أن نعيش علاقة تسعدنا؟ ولكن هذا الأمر لا يخصك فإنني أعظ امرأة غير عادية.

أخذت تلعب بملعقتها وهي تنصت إليه. فجأة أضاءت ابتسامة عريضة وجهها الصغير وقالت:

- أنا متفقة معك يا "آرثر". إن العلاقة لا تصبح جادة إلا إذا سمحنا لها بأن تصبح كذلك. لماذا لم أفكر في ذلك من قبل؟

- فعلا .. هل سترحلين؟

- نعم أنا متعجلة.

لمعت عينا "آرثر" الزرقاوان:

- ألن تنتظري إكسبريس "لوس أنجيلوس"؟

- لقد اتخذت قراري.. إنني أريد أن أزور "ساكرمنتو". إلى اللقاء يا "آرثر" لقد أديت لي خدمة لا تقدر بمال.

- عن أي شيء تتحدثين؟

طبعت قبلة على خده المكور، واتجهت إلى باب الخروج وعلى عتبة الباب استدارت نحوه وقالت:

- يوما ما ستفهم عندما أشرح لك.

دارت نصف دورة، وابتعدت وهي تجري. عندما وصلت إلى الرصيف تجمدت في مكانها:

- يا إلهي! القطار!

كان إكسبريس "ساكرمنتو" ينزلق في بطء خارج المحطة وسط الليل البهيم رفعت يدها إلى صدرها: لتكتم ضربات قلبها غير المنتظمة وقد

اخترقها ألم ممض ورهيب عندما شاهدت عربات النوم.

انفتح باب ومال المضيف إلى الخارج:

- تعالي يا آنسة! أسرعي.. هيا!

بدأ القطار يأخذ سرعته، ودون تفكير اندفعت "ديبورا"، وجرت بسرعة لم تحدث في حياتها وكان عمرها يعتمد عليها. كان المضيف يشجعها وهي تخشى أن تسقط:

- تشجعي يا آنسة.. بضع خطوات..

زادت "ديبورا" من سرعتها إلى أقصى حد، وأخذ قلبها يدق حتى يوشك أن ينفجر ورئتاها قد انتفختا بدرجة خطيرة. بعد لحظة صاحت في انتصار وهي تمسك باليد المنقذة التي مدها لها الرجل وسحبها بقوة إلى الداخل:

كانت تلهث وقد تقطعت أنفاسها واستندت على جدار العربة المعدني.

زفر المضيف:

- أوف! لقد تم الأمر بمعجزة.

تبادلا النظرات ثم انفجرا ضاحكين.

- مبروك يا آنسة! أنت تتمتعين بصحة عالية ثم نظرت إليه نظرة ماكرة وقالت:

- لا يمكنني إلا أن أقولها لك.. أمامك رقم واحد في فريق كرة السلة القديم لمدرسة "بلوليك"..

- نعم. وأضيفي إلى ذلك بطولة ركوب القطارات وهي تسير!

ردت عليه وساقاها مثل القطن:

- إنه مجرد تمرين بسيط!

كان "جوليان" غارقا في نوم ثقيل عندما عادت إلى المقصورة، وكانت تباشير الصباح تتوغل خلال شقوق في الجدار، وتلقي ضياء باهتا على ملامحه التي كانت رقيقة بسبب النعاس.

تاملته "ديبورا" في صمت. ثم بدات تسترخي، وتخلع ملابس الخروج ثم اندست وسط الفراش. تقلب "جوليان" وقال لها هامسا:

- "ديبورا"؟

- نعم يا عزيزي.

- لقد حلمت حلما غريبا. لقد حلمت أنني بحثت عنك في كل مكان، ولم أعد استطيع العثور عليك كنت أعلم أنه حلم ولكني لم أستطع أن استيقظ.

نظر إليها في لهفة بعينين نصف مغمضتين:

- أنا سعيد لأنك موجودة.

زفرت الشابة:

- وأنا كذلك!

الفصل العاشر

- "جوليان"! هناك أمر غريب يحدث. لم يرد. كانا قد جلسا داخل سيارة أجرة. نظرت "ديبورا" إلى رفيقها الذي بدا راضيا. منذ الصباح و"جوليان" يتصرف تصرفا فريدا.

كان المضيف قد سلمه ظرفا ولكنه اكتفى بأن دسه في جيبه، وما إن وصل القطار إلى "ساكرمنتو" حتى دفع "ديبورا" داخل سيارة أجرة دون أن يترك لها أي فرصة لرد الفعل. لوحت في وجهه سبابتها بحركة اتهام:

- أريد أن أعرف أمرين أولا: أين نحن ذاهبان؟ وثانيا: لماذا لم تقرا الخطاب؟

أضاءت ابتسامة عينيه السوداوين وقال:

- لست في حاجة لأن أقراه.

- حقا؟ ولماذا إذن؟

www.ebooksyria.com

- لانني أعرف ماذا بداخله

نظرت إليه نظرة إعجاب وقالت:

- دعنا نفهم.. لقد نمت تماما مساء أمس، وقد استيقظت هذا الصباح وانت شخص غير الشخص.

- إذا كان هذا ما ترينه.

- منذ استيقاظك وانت تسبح في خيال بعيد عن العالم.

- خيال؟

- نعم بالتاكيد مثل كل المكشوف عنهم الحجاب، والمتمتعين برؤية المستقبل.. وهكذا انت تعرف ماذا يحويه الخطاب دون أن تقرأه.. هل يمكن أن تحكي لي من البداية؟

امسك بيدها ثم القى برأسه على مسند الأريكة داخل السيارة الأجرة المنجدة بالقطيفة وقد علت شفتيه ابتسامة مشرقة:

- لقد أسات التعبير عن نفسي. لقد اردت أن اقول إنه لا يهم ما كتبه الخال "شارلي" في خطابه.

فتحت عينيها على اتساعهما دهشة وقالت:

- أين ذهب رجل الاعمال الحريص المدقق الذي كنته؟ هل أنت مريض يا "جوليان"؟

- لا على الإطلاق.

- إنك لن تستطيع أن تقنعني أن أصدق انك لن تفتح هذا الخطاب ابدا. الا تحدوك الرغبة في أن تعرف عن طريق البريد ما سيحدث.

قال وهو يقبل يدها:

- لا.

- ولكن لماذا؟

- لأن حل اللغز ظهر لي أمس مساء.

قالت وهي تفرقع أصابعها:

- هكذا؟

قال وهو يميل عليها ليداعب خصلة من شعرها:

- مجرد تخمين منطقي بسيط.. هل تتذكرين هذه الكلمة التي كررتها باستمرار؟

- المحيط..؟

- المحيطية.. إنها تضم مفتاح اللغز.. إنها تشير إلى دائرة اليس كذلك؟

- إذن هذا يعني...

- أن الخال "شارلي" سيسلمني الملف في "لوس انجيلوس" بمعنى عند نقطة البداية.

- ولكن لماذا أرسلنا إلى آخر حدود "كاليفورنيا"؟

- باعتباري أعرف خالي فإنني لا أجد تفسيرا معقولا. لقد استخدمك؛ حتى يجعلني انسى عملي، وفي رأيي الشخصي انه لابد انه كان موجودا في الموعد في الحارة السد، وفهم أنك قد توغلت في جلدي.

قالت في خجل جعله يضحك:

- أوه! وماذا سنفعل الآن؟

- سنقطع هذه المهمة المنهكة، ونعود إلى قاعدتنا.

- آه ها! أفهم من ذلك انك تتعجل العودة إلى مكتبك.

- بالعكس.. إنني ساعمل بهمة على نسيانه.

همهمت:

- أريد أن أرى ذلك حتى أصدقك.. إنك لم تخبرني بعد أين نحن ذاهبان؟

- نحن نهرب يا عزيزتي. نحن نهرب من الواجب والمسؤوليات، وتلك الموهبة السيئة المسماة طموحا

ابتسمت:

WWW.BEWIT.COM

- في الحقيقة انت في حاجة إلى عطلة، اما فيما يتعلق بي فإنني لم اسقط ابدا في ذلك الفخ.

صاح وهو يضحك:

- ولكن كيف؟

ثم رفع يده بسرعة؛ ليوقف احتجاجها وقال:

- انت مرتبطة بعملك بنفس الدرجة التي انا مرتبط بها بعملي. ما إن تدخلي المسرح فإن بقية العالم تختفي. انت بصدق شغوف تماما بمهنتك.

نظر إليها وقد بدا عليه القنوط واكمل:

- ولا تقولي لي: إنه لا يحدوك اي طموح فإنني لن اصدقك.

ضاقت عينا "ديبورا" ثم اعترفت:

- حسنا جدا. نحن- الاثنين- عاشقان لمهنتينا ولكن هذا لا يقول لي إلى اين نحن ذاهبان.

قال وهو يستعرض اسنانه ناصعة البياض:

- سنذهب حيث نستمتع. ساصحبك إلى المتحف.

التزمت الصمت وهي حائرة. استدار نحوها متسائلا:

- الا تعجبك الفكرة؟

- إنها ممتازة. إنني احب الاشياء العتيقة، والأطلال هل هذا كل ما تقترحه بالنسبة لمجال التسلية؟

غاضت ابتسامة "جوليان" وسالها:

- وما الذي تعيبينه على برنامجي؟

- لا شيء.. لا شيء على الإطلاق... ولكن.

- ولكن ماذا؟

تنحنحت "ديبورا" لتسلك حلقها:

- دعني ارشدك.. الاحتفالات والمهرجانات هي مملكتي.. لنتصور انك

تريد دراسة اخلاق فرس البحر.. ماذا تفعل؟

نظر إليها مذهولا، وعاجزا عن الكلام فقالت:

- طبعا لن تذهب إلى إخصائي زواحف "الإيجوانا" اليس كذلك؟ إنك ستتوجه إلى إخصائي أفراس البحر.

هز راسه وقال:

- لقد بدأت افهم، وإذا كنت قد فهمت جيدا...

اكملت له عبارته بكل تواضع:

- امامك خبيرة في التسلية.

أخذ يتشمم رائحة عطر شعرها الذكي وقال:

- إذن أضع نفسي بين يديك الخبيرتين. افعلي بي ما شئت. إلى اين ستقودينا؟

كان يتكلم بلهجة ممطوطة، ونيران مستعرة داخل عينيه. قالت له بنفس الطريقة:

- لا تحلم يا سيد "هالوران"!

ثم طرقت على الزجاج الذي يفصلهما عن السائق.

###

نظر "جوليان" في قلق إلى الالواح نصف البارزة من ماء البحيرة، والتي تلمع وسط حديقة الملاهي العملاقة. قال مهمهما:

- باسم كل الاعزاء يا "ديبورا تيرنر" إلى اي سجن اشغال شاقة قدتنا؟

دفعته نحو الزروق الضيق وهي تردد كلماتها الخالدة:

- اتبع المرشد.

سالها:

- هل هذا ضروري؟

نظرت إليه دون ان يطرف لها رمش وقالت:

- الم تعلن انك وضعت نفسك بين يدي نعم أم لا؟

- طبعا قلت هذه العبارة في لحظة شرود ولكن.. الا نستطيع ان نصل إلى حل وسط؟

تظاهرت "ديبورا" بالتفكير ثم قررت:

- لا.. لا حل وسط. لو انصت إليك لاعلنا حالة الطوارئ القصوى لمناقشة هذه النقطة القانونية.

تبعا -وهو في حالة شك- مجموعة من السائحين الذين وصلوا إلى شاطئ البحيرة وقال:

- "ديبورا" إن هؤلاء الناس مبتلون.

- أؤكد لك يا "جوليان" أن نزهة في القارب ستعيد اللون إلى خديك الشاحبين كرجل أعمال.

كرر كلامه في عناد:

- إنهم مبتلون!

- إننا نشبه "توم سوير" وهو يبحر فوق نهر "المسيسبي" وقد ترك نفسه يجرفه التيار..

- وتوشك ان تغرق.

قالت بغضب مشتعل:

- يا سيد "هالوران"! رغم انه من المحتمل ان تقابلك كل المعجبات الوالهات بك فانت لست مصنوعا من السكر فلا تخش أن تذوب في الماء.

مر وميض غامض في عيني "جوليان" وسأل:

- هل انت واثقة بذلك يا انسة "تيرنر"؟

امسك بيدها، وحدق في عينيها بقوة ولكنها اغمضت عينيها ولم تستطع أن تمثل الشجاعة ثم همهمت:

- كم اود أن اعيرك معطف النجاة الخاص بي.

انفجر ضاحكا ثم قال مستسلما:

- هيا بنا لننتهي من تلك المغامرة غير المامونة.

تقدما متشابكي الذراعين نحو البحيرة. اخذت "ديبورا" نفسا عميقا من الهواء الحلو المعطر. كان لديها إحساس بان ملاكا حارسا يرعاهما من أعلى السماء.

حوالي منتصف النهار ذهبا ليتناولا الغداء على العشب. كانت قطرات لؤلؤية تلمع في خصلات شعر "ديبورا" الأسود بينما أصبح لون خديها ورديا.

لم يستطع "جوليان" أن يرفع عينيه عنها كان يقول في نفسه: إن حبه لها قد أعاده إلى الحياة الحقيقية، وقبلها كان موجودا فقط لاغير. كان حماس "ديبورا" قد أدفأ قلبه البارد. لم يسبق له أن أحس بشيء مماثل. فكر في نفسه انه من الضروري أن يقول ذلك لها. ولكنه لم يجرؤ على أن يقطع سحر اللحظة.

نقلتهما سيارة أجرة إلى المحطة. كان الغسق يتحول ببطء إلى الليل، وكان "جوليان" يلف ذراعه بحركة طبيعية حول كتفي "ديبورا" التي اسندت رأسها على كتفه. قالت فجأة:

- الآن وقد فكرت في الأمر.. لماذا لا نستقل الطائرة؟ إننا سنكون في وقت لا يذكر في "لوس انجيلوس".

ظهرت ابتسامة على شفتي "جوليان" وقال:

- إنها فكرة طيبة ولكني افضل القطارات.

- إنني أسأل لماذا؟!

- إنني أعشق إحساسي باهتزازات القطار في المساء أسفل سريري بالمقصورة ومعي امراتي المحبوبة.

حاولت ان تشيح بوجهها، حتى تخفي حمرة الخجل التي ظهرت على خديها. شدد من قبضته؛ مما أشعل نيرانا داخلها.

صمتا وكل منهما ينتظر اللحظة التي يصبحان فيها بمفردهما في مقصورة القطار.

هبطا من السيارة الأجرة عند محطة القطار، ولم يترك ذراع "جوليان" كتف "ديبورا"، وعندما وصلا إلى الرصيف متجهين إلى القطار أبطأ من خطواته. سالته:

- ماذا هناك؟

- لقد نسيت أن أجري مكالمة تليفونية.

تبعته دون أن تقول كلمة واحدة إلى إحدى الكبائن التليفونية العامة وقد احتارت أمام مظهره الجاد والقاسي. أمسك بسماعة التليفون ثم أدخل في الشق بطاقة ائتمان، وأدار الرقم ببطء. سالته:

- هل الأمر مهم؟

ابتسم لها ثم أغلق على نفسه الباب الزجاجي سيخبرها فيما بعد عما يجري. نعم فيما بعد سيشرح لها كل شيء أما الآن فهو في حاجة إلى الحديث مع "كلويه".

أسندت "ديبورا" ظهرها إلى الجدار، وأخذت تصفر بفمها وهي تفحص أظافرها بانتباه مبالغ فيه. لقد فهمت أن "جوليان" يتصل بصديقته الشقراء، وحاولت أن تتظاهر بعدم الاكتراث.

كان يتحدث بصوت منخفض، وفمه قريب جدا من بوق السماعة ثم فجأة وضعها، وخرج من الكبينة.

سالته في عدم اكتراث مدروس بعناية:

- أخبار حسنة؟

رد عليها بهدوء:

- ممتازة.. إن "كلويه" من رأيك.

- هذا أفضل ولكن بشان ماذا؟

ابتسم:

- بشاني.

- وهذا يعني ماذا؟

- إنها تظن أنها تستحق من هو أفضل مني.

قالت وقد التمعت عيناها من الشعور بالخزي:

- وهل ترى أنت ذلك؟ من تظن نفسها؟

وما الذي تنوي أن تتخذه من إجراءات حتى تصطاد ذلك العصفور النادر؟ أفضل منك.. كم سنسمع من أعاجيب!

استمر في الضحك. قالت له:

- هل تحب أن أقول لك الحقيقة؟ إن "كلاريس" مغرورة للغاية.

كانت وهي تتكلم تتجه نحو القطار. وهي تقول:

- طبعا المغرورون يعتبرون دائما الآخرين غير صالحين لهم. أنا...

قاطعها وهو لايزال يضحك:

- لحظة! لقد قالت "كلويه" أو "كلاريس"- أو أي اسم تتعمدين إطلاقه عليها- إنها ستحاول العثور على رجل ينظر إليها بنفس الطريقة التي ينظر بها "جوليان" إلى "ديبورا".. هذه هي كلماتها الخاصة.. ثم إن "كلويه" سيدة عظيمة.

هزت كتفيها في غضب شديد وقالت:

- لا يجب الوثوق أبدا بالشقراوات.

إن صبغة شعورهن تدفعهن إلى هذا السلوك، ومن الواضح أن "كريستين" بطيئة نوعا ما.

انفجر مرة ثانية في الضحك، وقال يذكرها:

- ولكنها قالت نفس الكلام عنك.

- عني؟

- نعم.. لقد قلت إنها تستحق من هو أحس مني.

همهمت:

- هذا واضح عندما تخرج كلماتي عن سياقها...

- لنسرع يا "ديبورا".

بدا يجريان بطول الرصيف، وفي داخل عربة الأكل تذوقا عشاء فاخرا، وشرابا لذيذا، وعند ذهابهما إلى مقصورتهما ذراعا في ذراع لاحظا بالكاد رجلا ضئيلا مكورا له شارب "فالانتينو" نجم السينما الشهير، وعيناه زرقاوان لامعتان.

جذب "جوليان" باب المقصورة ثم تنحى جانبا ليسمح لـ"ديبورا" بالمرور. ثم دخل وراءها واستند على ضلفتي الباب. كان متلهفا على أن يقول لها ما في عقله وقلبه.

الفصل الحادي عشر

القت "ديبورا" بجسدها على سرير المقصورة ثم خلعت حذاءها: أحست بأنها منهكة ولكن سعيدة: إن هذا النهار الذي قضته بجوار ذلك السعيد "جوليان" المختلف عن رجل الأعمال الجاف الذي عرفته جعلها تحس بالروعة والحماس.

لقد كان نهارا خاصا جدا خارج الزمن، والذي ستحتفظ بذكراه حتى آخر أيام عمرها، ولا يهم ما يخبئه لها القدر في المستقبل: لأنه كان واضحا أنهما ما إن يصلا إلى "لوس انجيلوس" فإن كلا منهما سيتبع طريقه المختلف عن طريق الآخر.

إن فكرة كون علاقتهما القصيرة ستنتهي تجعل قلبها يكف عن الخفقان. لقد قالت لصديقها العجوز "آرثر" إن العلاقة تصبح جادة إذا تركناها تصبح جادة. إنها عاطفة أصبحت بالنسبة لها مألوفة ومع ذلك تقلقها.

كان عليها باستمرار أن تبذل طاقة ثمينة: حتى تسيطر على

www.rewity.com مـــرمـــوريـــة

مشاعرها.

فكرت أن من الواجب عليها قبل أي شيء أن تظل يقظة.

تاهت نظراتها في الفراغ. أحست بنظرات "جوليان" تركز عليها فرفعت رأسها وهي تبتسم ثم أمرته بصوت تشوبه المداعبة:

- تعال هنا!

قفز بسرعة إلى جوارها، وأمسك بيديها وقال وهو يرتجف من الانفعال:

- أنا مجنون!

أمسك بكلتا كتفيها بقوة، وتوغل بنظراته في أعماق عينيها. قالت له:

- كل الناس مجانين؛ ولذلك لا أرى فارقا.

- أنا مجنون بك يا "ديبورا".

أخذ نفسا عميقا من الهواء البارد وقال:

- ولدي أمور كثيرة جدا أريد أن أقولها لك.

دهشت فحدجته بعمق. إنها لم يسبق لها أن رأته محموما لهذه الدرجة، وهشا أيضا.

قال لها مقترحا في هدوء:

- لنجلس ونتحدث في هدوء.

مرر أصابعه بحركة عصبية في شعره قبل أن يستطرد قائلا:

- لست أدري من أين أبدأ، وعندما أفكر فيما كنت عليه من قبل، وفي أهدافي القديمة.. كل هذا يبدو لي غير معقول. إن الإنسان يستطيع أن يعيش في الخطأ دون أن يدري. إنه لأمر غريب ومثير للعجب ولكني أحس بأنني سعيد.

هز رأسه وهو مندهش من كلامه ثم قال:

- نعم.. إنني أعد نفسي سعيدا.. وهذا هو غير المعقول!

أتت بحركة احتجاج بسيطة ولكنه لم يلحظها

- لقد حاول الخال "شارلي" أن يجعلني أفهم ذلك، وأنا لم أرغب في الإنصات إليه.. لقد كنت فعلا عاجزا عن الإنصات إليه.

جلس بجوارها، وأمسك بيديها بين يديه وقال:

- بفضلك رأيت بوضوح.. انقشعت الغمامة من فوق عيني. كان لابد أن أقابلك؛ حتى أستطيع أن أرى الحقيقة في وجهها.

أخذت شفتاه ترتجفان قليلا:

- لم أكن أبدا موظفا سيئا. لقد وضعت قانونا قاسيا كنت أطبعه كالأعمى؛ وعليه- ودون أن أدرك ذلك- وصلت إلى درجة اعتبار الآخرين كالدمى المتحركة أو أشياء مجردة أستطيع الاستغناء عنها كلما يحلو لي ذلك.

ركز عليها عينيه الصريحتين:

- لم أسمح لأحد باختراق دنياي، وكان الخال "شارلي" يعرف ذلك، والعديد من المرات قاله لي خلال مناقشات عاصفة. لم أكن أريد أن أعرف عن ذلك شيئا.

ربت على خد "ديبورا" بيد مرتجفة:

- لقد استمر ذلك إلى أن التقينا- أنا وأنت- لقد كنت مثل الإعصار الذي أطاح بكل الحواجز التي أقمتها بعناية دفاعا عن نفسي، وأنت نفسك لم تدركي ذلك. فجأة سقطت الغشاوة عن عيني. لقد كنت كالأعمى الذي استعاد نعمة الإبصار.. لقد استطعت أخيرا أن أرى، وأتمتع بالأشكال والألوان...

- "جوليان"!

- منذ أن دخلت حياتي يا "ديبورا" كل شيء تغير. لقد أصبحت رجلا آخر. لأول مرة أهتم بالآخرين، وبعواطفهم، وسادني إحساس بأنني أعيش حقا أو بمعنى أصح: بعثت للحياة من جديد. لقد كان ما راه الخال "شارلي" صحيحا منذ البداية. أنا كنت أريد الزواج من الشخص المناسب، واللحظة المناسبة كما كنت أكرر دائما، وكنت واثقا بأنني بذلك سأنجح في حياتي.

صمت لحظات وهو يبتسم:

- عندما رأيتك لأول مرة لم أفكر إلا في شيء واحد وهو: أن أقيم

علاقة مغامرة معك ثم أتزوج ذلك الشخص المناسب، وقد تطلب الأمر مني وقتا معينا؛ حتى أدرك أنه بدونك وجودي كله، وكياني لن يصبحا سوى فراغ كبير.

تأوهت قائلة:

- من فضلك يا "جوليان"!

- لا يا "ديبورا"! دعيني أصل حتى النهاية لقد انتظرت وقتا طويلا حتى أتكلم معك، والآن وقد استجمعت شجاعتي فلن يستطيع شيء أن يوقفني. أريد منك أن تعرفي جيدا كم علمتني. بفضلك فهمت ما هو الحب!

- أرجوك...

- فيما مضى كنت أظن أنه يكفي للحب العثور على شخص يشاركني ذوقي بهدوء وبراحة يا إلهي! يا لها من كلمات غبية! إن الحب لا يعرف شيئا اسمه الراحة. إن الحب يغزوك، ويغرقك، وعندما يحب الإنسان فإنه يكون موجودا. فجأة أصبحت قادرا على أن أقف مغشيا عليّ أمام الغسق أو كتلة من الخرسانة المسلحة. بفضلك يا "ديبورا"! بفضلك وبدونك لم أكن سأعرف أي شيء على الإطلاق، ولا أحس بأي شيء.

مد يده، ولمست أصابعه فمها الذي يشبه فم الدمية. كان مضطربا وهي أيضا كانت مضطربة؛ فأدارت وجهها بعيدا عنه، ورموشها ترتجف مثل جناحي الفراشة. ظن أنها منفعلة.

همس بصوت حنون:

- "ديبورا"! إنني أحس وكأنه حدثت لي معجزة. إن الحب الذي أحمله لك هو أحسن شيء حدث لي على الإطلاق. أريد أن أقضي بقية حياتي؛ لأثبت لك ذلك.

ابتعد عنها ثم تشابكت عيونهما ثم قال:

- لنتزوج.. صيري زوجتي يا "ديبورا".

ران صمت طويل بعد هذا التصريح غير المتوقع. اتسعت العينان الرماديتان. فجأة أفلت من "ديبورا" ما يشبه الأنين؛ نهضت مرة واحدة،

وأصبح وجهها شاحبا مثل الشمع، ومرة ثانية أحس "جوليان" وكأنها فتاة في حالة الياس.

همهمت:

- لا.. كفى!

لاحظت ظلا على ملامح "جوليان" الذي بدا ملهوفا. فكرت في أن عليها ألا تسمح لنفسها أن يؤثر فيها. أعلنت بقوة مشوبة برجفة:

- لا.. يجب إيقاف كل هذا يا "جوليان" أنت تبالغ في عواطفك، وتسمح للظروف أن تلتف حولك وتسيطر عليك. يجب تقدير الأمور ككل وفي مختلف الظروف.

نظر إليها دون أن يفهم:

- ما الذي تحكينه؟

- الحقيقة!

- أي حقيقة؟ ما الذي تحاولين أن تقوليه لي؟

ابتلعت ريقها بصعوبة. قالت موجهة كلامها إلى النافذة:

- لقد صدمت عندما اكتشفت أنه لم يسبق لي أي تجربة عاطفية. ما الذي كنت تنتظره بالضبط؟ أن تقضي ليلة ممتعة مع فتاة مجربة، وأن تنسى كل شيء في اليوم التالي؟ ولم تكن هذه هي الحالة؛ ولذلك أحسست بأنك مذنب، وبنوع من عاطفة المسؤولية التي ليست في محلها تحاول أن تصلح الخسائر.

- كيف؟

- ولكني بالغة وموافقة، واعرف ماذا كنت أفعل.. إذن كف عن لوم نفسك، وتعذيبها

أحس بالارتياح فضحك:

- هل هذا كل ما كان يزعجك! لقد وقعت في حبك قبل ذلك. لم أكن أعرف ولكن كنت أحبك منذ البداية. أنا...

قاطعته وهي تنظر إليه نظرة يأس:

- لا! أنت لم تعد تعرف ماذا تقول. لا نستطيع أن نتزوج. إن هذا

مستحيل.

جلست على حافة السرير المعلق بجواره، وأكملت:

- فكر قليلا يا "جوليان". أنا لست جادة، ولم أخلق للزواج، ومن ناحية أخرى فإن مثل هذا الارتباط سيصبح كارثة بالنسبة لكلينا.

- "ديبورا"!

كان يبدو كرجل أصابته الصاعقة. تابعت:

- يجب أن يكون هناك بيننا ذوق مشترك حتى نتزوج. نحن مختلفان للغاية اختلاف الليل والنهار: أنت تحب المتاحف، وأنا أعشق مدائن الملاهي.. وأنت ترتدي البدل من الصوف الإنجليزي، وأنا أرتدي ملابسي من محلات المستعمل أما بالنسبة لمهنتينا فإنهما متعارضتان تماما وأنا لا أعمل إلا بالليل فكيف تتصور أنني أستطيع تأسيس أسرة، ورعايتها؟

هزتها ضحكة مريرة وقالت:

- أسرة! وأطفال! يا لهم من تعساء..

إنني ساكون أما شنيعة، على أية حال إنني لم أكن لأقبل أبدا أن أهجر مهنتي من أجل أي إنسان.

ران صمت ثقيل داخل مقصورة القطار حيث بدا الهواء فجأة غير قابل للاستنشاق، وبعد لحظات بدت أطول من دهر بدأ "جوليان" الحديث:

- أنا لم أطلب منك أبدا أن تتركي المسرح، ومهنتانا ليستا متضادتين الواحدة ضد الأخرى، وأنت تعرفين ذلك، وهناك دائما وسيلة لتسوية الأوضاع، وبقليل من العزيمة والنية الحسنة من كل من الطرفين يكفي لتسوية الأوضاع. ثم إنني أفكر جديا وبإخلاص أنك ستكونين ربة بيت ممتازة، وأما رائعة. لقد شاهدتك مع أطفال "إيرين".

- إن هذا لا يثبت شيئا.

- بالنسبة للآخرين يا "ديبورا" أما بالنسبة لي فإن مجادلاتك لا قيمة لها. إنك لن تقنعيني أننا لم نخلق كل منا للآخر، ومن الأفضل أن

تخبريني بأساس فكرتك، وما يدور في ذهنك.

هزت رأسها وضحكت في عصبية:

- أساس فكرتي؟ إن هذا يذكرني بنكتة دارت في "لوس أنجيلوس" في الصيف الماضي.

قال لها بغضب وحدة:

- كفى! كوني جادة مرة واحدة.

أضاءت العينان الرماديتان بوميض الانتصار:

- هل رأيت؟ لقد قلت لك من لحظات إنني لست جادة، ولن استطيع أن أكون جادة. المأساة والمتاعب.. أنا أهرب منها...

ظلت الكلمات معلقة لحظات ثم استأنفت بصوت متقطع شبه غير مسموع:

- أنا لا أصلح إلا للمزاح والتسلية. ألا تعرف ذلك؟

- يا عزيزتي...

- لا تناديني هكذا!

- كوني نفسك يا "ديبورا" أرجوك. ألا تعتقدي أنك غير مضطرة للقيام بهذا الدور؟

ردت عليه وهي تضحك:

- لا أستطيع! من يستطيع أن يقول من أنا حقيقة؟

قال بصوت رقيق:

- أنا أستطيع. خلال هذين اليومين الماضيين اتيحت لي الفرصة لاكتشاف بعض أوجه شخصيتك الحقيقية، ولو حاولت أن تتركيني أن..

هزت رأسها ببطء يمينا ويسارا ثم هربت منه إلى النافذة:

- لا.. لا.. لابد من منع ذلك. إنه لن ينجح: لأنني لن أتزوجك.

بلعت ريقها ثم بللت شفتيها الجافتين. قال:

- كيف يمكنني أن أتوصل إلى إقناعك؟

عادت لتقف أمامه جامدة، وتنظر في عينيه مباشرة.

- إنني لن أتزوجك: لأنني لا أحبك.

ازداد وجهه قتامة، وتصلب جسده وكانه تلقى صفعة. ظل ثابتا فوق السرير المعلق وذراعاه متدليتان في الهواء وقد تقلص فمه، واحس بان الهواء الذي حوله قد تحول إلى كتلة صلبة.

نهض ببطء وهو يترنح كرجل ثمل ثم انفجر ضاحكا:

- يا إلهي! إنني أستحق هذا . لقد كنت منهمكا في الافتتان بما يحدث لي حتى إنني لم افكر في أن اسالك إن كنت انت ايضا... اوه.. كيف يمكن أن اكون ساذجا إلى هذه الدرجة وانا في سني هذه؟ إنني من فرط سذاجتي ظننت أن العاطفة الرائعة التي احسها لابد أن تكون مشتركة. اعذريني وسامحيني يا عزيزتي.. إنني اتعلم كل يوم معك.

- انا آسفة يا "جوليان"..

- ولماذا؟ لا يجب أن تندمي ابدا على قول الحقيقة ثم دعينا لا نتحدث في ذلك بعد الآن.

أدار لها ظهره، وأخذ يراقب عبر النافذة الليل البهيم وقال:

- سنصل إلى "لوس أنجيلوس" خلال ساعتين.

- اعتقد انني سانسحب إلى المقصورة النهارية.. ومن الأفضل أن نلتقي في المحطة.

- بلا شك.. وتصبحين على خير.

خرجت من المقصورة الليلية وهي تكتم شهقاتها. وقف القطار في محطة "لوس أنجيلوس". كان الوقت نهارا. ظهرت "ديبورا" على الرصيف ضمن أول المسافرين كانت المسافة الأخيرة جحيما حقيقيا ولكنها الآن مستعدة للصراع من أجل أن تنسى. تقدمت بخطوات ثابتة وسط الجمهور المزدحم وقد ضمت يدها على معدتها.

النسيان.. كانت تعرف بطريقة غامضة انها لن تستطيع الوصول إلى النسيان وانها لن تستطيع أن تغمض عينيها إلا وترى صورة "جوليان" لحظة أن قال لها إنه يحبها.

- انتظريني يا "ديبورا".. "ديبورا"!

أرادت أن تسرع في سيرها ولكن يدا قوية قبضت على ذراعها،

وأجبرتها على الوقوف.

- أريد أن احدثك.

جذبها بعيدا عن الزحام وقال:

- هل يمكن أن تسمعيني يا "ديبورا"؟

- ولماذا أفعل يا "جوليان"؟ لماذا اتعذب بلا داع؟ لقد قلنا كل شيء بيننا.

- لا.. اللعنة! لم نقل كل شيء.

- دعني!

زاد من قبضته:

- أنت شخصية حساسة، وصادقة اليس كذلك؟

إذا كنت لا تحبيني لتجنبت بكل وسيلة ان تعذبيني ولكنك فعلت العكس بالضبط. لقد وجهت إليّ طعنة عن عمد، وهذا يعني انك تحبيني، وانك مصرة على محاربة عواطفك الخاصة.

- هذا غير صحيح.

- لا يا عزيزتي. انت تحبيني، وتخشين ذلك. انت تخشين أن ينتهي بك الحال كامك. أنت تفضلين ان تتركي الحياة الحقيقية ولا تتعذبين، انت تتخفين وراء المزاح والالاعيب.

صرخت:

- انت لا تفهم شيئا!

- إن الحقيقة من الصعب سماعها. انت جبانة يا "ديبورا". انت تظنين أن الجمهور يعطيك ما ينقصك.

خفضت رأسها فاجبرها على رفعه ثانية:

- ثم هناك وهم آخر عندك: إن كل هؤلاء الناس مجتمعين لا يمكن أن يعوضوك عن الحب؛ لأن الحب دور من الصعب تمثيله.

تركها فجاة. نظرت إليه ثم رفعت يدها إلى وجهها لا.. إنها لن تسمح لنفسها أن تصاب بعدوى تلك الاكاذيب، والعبارات المنمقة المصطنعة. ابتعدت دون أي كلمة، وانخرطت وسط الجمهور الذي توجه نحو ابواب

الخروج.

راقبها ترحل وهو يشعر بالم شديد. فكر أن كل شيء انتهى.. وضاع.

- أنا آسف يا "جوليان".

انتزعه صوت الخال "شارلي" الناعم من أفكاره.

همهم وهو مذهول لدرجة تمنعه من سؤال خاله عن أسباب وجوده في هذا المكان وهذه الساعة:

- صباح الخير يا خالي "شارلي".

ناوله خاله مظروفا من الورق المقوى قائلا:

- أوراقك يا فتى. لقد فشلت تماما أليس كذلك؟

رد عليه "جوليان" وعيناه على الخيال الأنثوي الذي يبتعد وسط الزحام وقال:

- الأمر ليس خطيرا!

###

سارت "ديبورا" مطاطئة الراس يتبعها تانيب ضميرها. خطر على ذاكرتها ذكرى "جاني" لسبب غير مفهوم وهي تقول: إنني احب استقلالي، ولست ملزمة بتقديم حساب لأحد.

بدت لها تلك العبارة حزينة فجاة. زادت من سرعتها.. عليها ان تبتعد قدر المستطاع، وبعدها روتين حياتها سيتغير، وتداوي جرحها. لقد كان "جوليان" مخطئا. إنها لا تحبه إنها ترفض ان تحبه. وحتى لو كانت تحبه أخذت الدموع تؤلم عينيها. طبعا هي تحبه، وربما من وقت طويل منذ اللحظة التي فتح لها باب شقة شقيقته. حسنا.. إنه على حق.. ولكنها تموت خوفا من الهجران والرفض، وهذا يتفوق على حبها. إنها تعلم أنه لو هجرها "جوليان" في يوم من الأيام -لو تزوجا- فإنها واثقة بأن حالتها ستصبح مثل حالة أمها. كان منظر السيدة "تيرنر" وهي في أسوأ أحوالها يطاردها بقسوة، ولكن اي مستقبل ينتظرها الآن؟ خطرت هذه الفكرة على ذهنها عفويا. اي مستقبل لها بدون "جوليان"؟ لقد قال: إن الحب هو مشهد من الصعب تمثيله. إن تاثير كلماته يخنقها.

تباطات خطواتها ثم كفت عن السير. وظلت ثابتة وسط الفوضى المتحركة. قالت في نفسها "جوليان"!

استدارت ببطء، وفتشت وسط الجمهور بنظرها. كانت تحس برغبة ملحة أن تعثر عليه، وأن تقول له ما بقلبها، وتشرح له أنها فهمت فجاة ما رفضت الاعتراف به. إن فكرة حياة بدون "جوليان" تحس بانها وحيدة وخاوية بدرجة مفزعة.

فجاة لمحته. كان في نفس المكان الذي تركته فيه، وكان "أرثر" بجواره ولكنها لم تدهش. استمرت في التقدم ضد التيار وهي تصطدم بالمسافرين، وتعتذر لهم، ولم تهتم بنظراتهم المغتاظة.

زادت من سرعتها شيئا فشيئا وهي تشق طريقها وسط المسافرين كانت متعجلة لإصلاح الالم الذي سببته له. طوال حياتها القادمة ستعمل جاهدة حتى يسامحها. إنها لا تريد مقابل اي شيء في العالم أن ترى نظرة اليأس على وجه "جوليان" مرة ثانية.

كان قلبها يدق بلا انتظام، وقطرات العرق تتلالأ على جبينها، وخطواتها تتسارع من تلقائها. فجاة اندفعت تجري وسط الجمهور عندما شاهدها "جوليان" تصارع حتى تصل إليه بدأت ملامح وجهه تتغير. بدلا من تعبيرات اليأس والقلق حل تعبير الفرح الواضح.

صاح وهو يجري نحوها:

- "ديبورا"!

سقط مظروف الورق المقوى فوق الأرضية، وكان "جوليان" يزيح في جريه المسافرين يمينا ويسارا.

بعد ذلك ضمها بقوة متوحشة. قالت له:

- إنني أطلب منك العفو! سامحني يا "جوليان".

- بالعكس. لقد فعلت الصواب. لو قبلت في الحال الزواج مني لما افقت ابدا من الصدمة.

صاحت وعيناها تغشاهما الدموع من السعادة:

- ولكني أريد أن اتزوجك. إنني اتمنى ذلك اكثر من اي شيء في

العالم... ساقدم استقالتي، وساترك مهنتي في ملهى "البطة الخضراء".

- ولكن ماذا تفعلين بدلا من ذلك؟

- سابقى في البيت.. سادعك الباركيه، وأعد الطعام.. أريد دستة من الأطفال! إنني ساكرس نفسي لبيتي. هل هناك مهنة أجمل من هذه؟

تعلقت في رقبته وتوسلت إليه:

- لا تتركني أبدا يا "جوليان".. أبدا.. احتفظ بي بجوارك.. احتفظ بي.

- سنكون معا للأبد يا حبي. ولكني لا أريد منك أن تهجري المسرح. أنت موهوبة للغاية.

مال على شعرها وطبع قبلة حانية:

- ستستمرين في التمثيل يا "ديبورا"، وساصحبك إلى المسرح.

أحاطت وجهه بيديها الصغيرتين وقالت:

- "جوليان".. "جوليان"! انا احبك.

كان لهذه الكلمات البسيطة تاثيرها عليه حتى إنه أخذ يكررها مرارا وتكرارا، وكان جمهور المسافرين ينساب حولهما كنهر حول جزيرة.

مال رجل ضئيل، ومكور، وأصلع نحو الأرض والتقط المظروف الملقى على الرصيف. ثم ثبت عينيه الزرقاوين اللامعتين على كل من "جوليان" و"ديبورا" وهمهم:

- باسم القديس "سان جورج"! لقد قلتها فعلا!

تمت